سلسلة رواد التقريب ١



الإمام البروجردي

عبدالرحيم أباذري





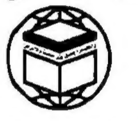
الامام البروجردي

تأليف: عبد الرحيم أباذري

تعريب: خليل زامل العصامي

تحقيق واستدراك: محمّد جاسم الساعدي

سرشناسه	: اباذري، عبدالرحيم.
عنوان قراردادی	: آية الله بروجردي: آيت اخلاص. عربي.
عنوان و پديدآور	: الامام البروجردي: آية الاخلاص/ تأليف عبدالرحيم اباذري؛ تعريب خليل زامل العصامي؛ تحقيق واستدراك محمد جاسم الساعدي
مشخصات نشر	: تهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، ١٣٨٦.
مشخصات ظاهری	: ١٧٦ ص.
شابک	: 978-964-8889-81-9
وضعيت فهرست‌نويسی	: فيپا.
يادداشت كلی	: عربی.
يادداشت	: كتابنامه: ص [١٥٩] ـ ١٧٠؛ همچنين به صورت زير نويس.
موضوع	: بروجردی، حسين، ١٢٥٣ ـ ١٣٤٠ـ ـ سرگذشتنامه.
موضوع	: فقيهان شيعه ـ ـ سرگذشتنامه.
موضوع	: وحدت اسلامی.
موضوع	: تقريب مذاهب.
شناسه افزوده	: عصامی، خليل، ١٣٣٧، مترجم.
شناسه افزوده	: ساعدی، محمد جاسم، محقق.
شناسه افزوده	: مجمع جهانی تقريب مذاهب اسلامی. معاونت فرهنگی.
رده‌بندی كنگره	: ١٣٨٦ ٢٠٤٣٦ الف٤ ب/BP١٥٣/٥.
رده‌بندی ديويی	: ٢٩٧/٩٨٨.
شماره كتابخانه ملی	: ٨٥-٤٥٤٤٧م.



المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

اسم الكتاب:	الامام البروجردي آية الاخلاص
تأليف:	عبدالرحيم أباذري
تعريب:	خليل زامل العصامي
تحقيق و استدراك:	محمد جاسم الساعدي
الناشر:	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية - المعاونية الثقافية
الطبعة:	الاولى - ١٤٢٨ هـ.ق ٢٠٠٧ م
الكمية:	٢٠٠٠ نسخة
السعر:	١٣٠٠ تومان
المطبعة:	نيرو
ردمك:	٩ - ٨١ - ٨٨٨٩ - ٩٦٤ - ٩٧٨ ISBN:978- 964 - 8889 - 81-9
العنوان:	الجمهورية الاسلامية في ايران _ طهران _ ص. ب: ٦٩٩٥ _ ١٥٨٧٥
	تلفكس: ١٤ - ٨٨٣٢١٤١١ - ٢١ - ٠٠٩٨

مقدّمة المجمع

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ليس من قبيل الصدفة عدم خفاء دور القادة المفكّرين وعظماء التاريخ العلمي والأدبي في إيجاد الحركات النهضوية والتحوّلات الفكرية والفلسفية الكثيرة في العالم، وما تعكسه من آثار متعدّدة الجوانب على مسيرة البشرية، وتطوّرها على كافّة الأصعدة؛ إذ في غالب الأحوال ثمّة ظروف تعين هؤلاء العظماء على المدّ في تحرّكهم ودفع عجلة نشاطاتهم بالاتّجاه الذي يرغبون فيه، يضاف إليه الأوضاع المعقّدة التي قد تدعو الناس إلى محاولة التغيير ولو بصورة معيّنة وعلى نطاق محدود.

فكلّ تلك العوامل تزيد من مدى طواعية الجماهير باتّجاه هذا القائد الفكري، وتحثّ من خطاه نحو إكمال مسيرته. هذا إذا أضفنا إلى مجموع ما مرّ شخصية القائد الجذّابة، والخصائص الفذّة التي يتمتّع بها.

من الصعب أن تشهد رجالاً من هذا الطراز قادوا «انقلابات» فكرية وثقافية في مجتمعاتهم مع وجود المال والناصر.

لكن أن تجد رجالاً قاموا بنهضات وحدوية بمفردهم، وجمعوا شتات أُممهم العريضة بهمّة عالية أثارت إعجاب الآخرين، فهذا هو الصعب والعسير المنال؛ لأنّهم لم يسندوا تحرّكاتهم على الرجال والأنصار، ولم يجلسوا على كنوز الذهب التي تترى علىٰ البعض من جهات مختلفة.

إنّ المصلحين العظام لم يقودوا حملاتهم النهضوية ضمن فئات محدودة أو جماعات قليلة ليدرجها المضطّلعون في خانة المساعي الهيّنة، بل كانت دعوات بعضهم تشمل أطراف الأُمّة الكبيرة التي يبلغ تعداد نفوسها أكثر من مليار نسمة! هذا إذا أضفنا إلى

ذلك الجماعات والجهات المخالفة التي لم تأن في استخدام كلّ ما لديها من الحيل لنزع فتيل حملتهم، واستحلال ساحتهم ولو بالتصفية الجسدية!

وهذا ما دعا التاريخ إلى حفظ أسماء هؤلاء الثلّة الرائعة بعدما رفعها عالياً، فكانت بمثابة شموس مضيئة أشرقت بنورها على الناس، الذين لم يألوا جهداً في تسجيل مواقفهم وإبراز احتراماتهم تجاههم.

إنّ وصول هؤلاء الرجال في ميدان الإصلاح الاجتماعي والتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى هذا المستوى من الرقي والعالمية إنّما كان مبنياً على استراتيجية ثابتة منتقاة من الفكر والثقافة القرآنية والأدب النبوي الشريف وتربية أهل بيت النبوّة الطاهرين والسيرة التي تابع الصحابة عليها بإحسان، ولم تكن حركة خبط عشواء، أو حاطب ليل، وأيضاً لم تكن على أُسس شخصية ومصلحية فردية أو أُسرية.

ففي الوقت الذي يجوب بعضهم العالم بأسره للقاء الزعماء السياسيّين ومسؤولي الدول، يطوف بعضهم الآخر البلدان والقرى، قاطعاً المسافات البعيدة من أجل بثّ فكرة التقريب ووحدة الصفّ، ومحاولة إقناع النخب من تمكين فكرة التقريب، والحوار الهادئ، واحترام الغير في نفوس مؤيّديهم.

ولعلّ من أبرز هؤلاء الطليعة التي ترجمها المجمع بعنوان «روّاد التقريب»، الذين بذلوا جهوداً جبّارة في هذا السبيل، وأبدوا كثيراً من النشاطات العلمية على مستوى الرسائل والكتب من أجل معالجة المتطلّبات الملحّة التي تحتاجها حركة التقريب بين أفراد الأُمّة الإسلاميّة.

وفي الوقت الذي نشكر فيه جهود الأُستاذ الفاضل الأخ محمّد الساعدي، وما أبداه من تعاون مثمر على صعيد تحقيق وتوثيق واستدراك هذا الكتاب، نقدّر جهود كلّ من ساهم في نشر وإعداد هذا السفر الجليل. والحمد لله ربّ العالمين.

المعاونيّة الثقافيّة للمجمع العالمي
للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة

كلمة المحقّق

لا يخفى على المراقب الحصيف دور رجال التقريب وروّاده في نشر وترويج الفكر الإصلاحي في الأوساط الثقافيّة والفكريّة الإسلاميّة وعلى أكثر من مستوى.

ولم يقف دورهم عند هذا الحدّ، بل تعدّاه إلى مستوى أكثر فاعلية، بعدما فتحوا الأبواب لدخول «الأفكار الأُخرى» وسلّطوا الأضواء على المباحث العلميّة الجادّة في سبيل رفعة الإسلام ورفرفة رايته الفضفاضة، بحيث يتسنّىٰ للأجيال اللاحقة متابعة الحقيقة بأبهى صورها.

إنّ هكذا رجال وأصحاب قلم وفكر إصلاحي وتقريبي بحاجة إلى برنامج للتعريف بهم لأجيالنا اللاحقة، والدفاع عن مبادئهم وشعاراتهم التي فدوا نفوسهم الزكية وأموالهم الطيّبة وأوقاتهم الشريفة من أجلها.

ولعلّها أمانة هي في رقاب كلّ المصلحين والتقريبيّين. وهذا بالضبط ما دعاني إلى تلبية دعوة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى تحقيق مجموعة «طلايه داران تقريب» (روّاد التقريب) وتهذيبها والاستدراك عليها.

وقد كان منهجي في التحقيق كمايلي:

١ ـ متابعة التعريب الذي تمّ على النصّ الفارسي للكتاب، والإشراف على الترجمة، وتهذيب بعض بنودها الّتي رأيتها مناسبة أكثر لموضوع الكتاب، وسبك العبارات بأُسلوب عصري حديث.

٢ ـ تقويم متنه، وتصحيح الأخطاء الواردة فيه، وإصلاح ما يلزم.

٣ ـ متابعة مراحل الطبع والمقابلة بكلّ تداعياتها.

٤ ـ ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في المتن ليتسنّىٰ للقارئ اللبيب الإحاطة بأخبارهم، والاطّلاع على أحوالهم وما قدّموه من آثار.

٥ ـ توثيق الموارد التاريخيّة واللغويّة والحديثيّة والسياسيّة وغيرها الواردة في الكتاب.

٦ ـ كتابة الاستدراكات التي تتعلّق بحياة وسيرة المترجم لهم والمراحل التي تتمحور حولها شخصياتهم، والتي لم يتسنّ للنصّ الفارسي الأصل استيفائها وإيرادها في هذا الكتاب، فلاح لي ضرورة الاهتمام بهذا الجانب الحيوي، ومتابعة المسألة بصورة جدّية في الهامش على أن لا تكون متجاوزة لحدود الكتاب، وبالتالي يمكن أن تساهم هذه الاستدراكات في زيادة اطّلاع القارئ على ملابسات حياة الشخصية المترجم لها. وقد رمزت للاستدراك بهذه العلامة (*).

هذا وأسأل المولى عزّ وجلّ التوفيق لخدمة التقريب بين مذاهب الأُمّة الإسلاميّة والإصلاح أكثر فأكثر. ولا يفوتني أن أُعرب عن شكري وتقديري إلى المجمع العالمي للتقريب، وأخصّ بالذكر سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أصغر الأوحدي (حفظه الله) على إتاحته الفرصة لي للمساهمة في إنجاز هذا العمل على أحسن ما يرام إن شاء الله، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الساعدي

٥ / ذو الحجّة / ١٤٢٧ هـ

المقدّمة

[مقدّمة الطبعة الفارسيّة]

روّاد الحركات الفكريّة هم أُولئك الذين يملكون كفاءات فكريّة تتفوّق على الأُطر والآفاق الضيّقة المحيطة بهم. هؤلاء الروّاد يخوضون أحياناً غمار التحدّي في مواجهة الأجواء التاريخيّة والاجتماعيّة أو الرؤى والاعتقادات التي يعيشون بين ثناياها، ويجودون برؤى مغايرة ترسم منطلقات جديدة أمام أُفق العقل الاجتماعي السليم.

تكمن أهميّة مثل هؤلاء الأفراد في البعد المنهجي أكثر من أيّ شيء آخر، في ما يمثّلون من تحدٍّ ذي حدّين؛ يعكس أحدهما ـ كما هو حال أيّ مفكّر آخر ـ حصيلة الأجواء التي يعيش في غمارها، وهو يجسّد بطبيعة الحال رمزها ومثالها، وأمّا الحدّ الآخر فهو ما يأتي على نحو مخالف لما يتّسم به المفكّرون المتجمّدو الفكر، أيّ: أنّه يرى بأنّ مسؤولياته الفكريّة تمتدّ إلى ما هو أبعد من الأوضاع الراهنة التي يعيشها المجتمع، بمعنىً: أن يصوغ أحجاماً جديدة، ويرسم أضلاعاً مبتكرة. أمّا الذين يخلقون من بين إرهاصات هذين العاملين أفكاراً معتدلة، فهم

الروّاد والطلائع الذين وإن كان عددهم على امتداد التاريخ قليلاً على الدوام، إلّا أنّ لهم تأثيرات كيفيّة بالغة الأهميّة وفاعلة ومصيريّة.

ومن الطبيعي أنّ الريادة في الحركات الفكريّة تحظى بأهميّة أعظم عندما تجعل الميادين الاجتماعيّة حقلاً لها. فالعادات والتقاليد والرسوم ـ بالمعنى العامّ للكلمة وما تشمله من معاني التعصّب ـ من أقدم وأعرق مكوّنات الحياة البشريّة. ولا شكّ في أنّ المساس بالصيغ الموروثة التي تتطلّب تنقيتها طي مسار عقلاني واع، يستلزم التحلّي بالثبات والوعي الكفيل بمعرفة مدى التأثير والتجذير التاريخي لتلك العادات والتقاليد.

ومن الطبيعي أنّ مهمّة التقريب بين المذاهب تحتلّ موقع الصدارة في مثل هذه الحركات. وقد شهد هذا الميدان روّاداً وطلائع عظام، من أمثال: السيّد جمال الدين الأسد آبادي، وآية الله البروجردي، والشيخ محمود شلتوت، وغيرهم.

لقد تبدّل مفهوم التقريب في ضوء التأثير الذي تركه أمثال هذه الشخصيات، وتحوّل تدريجياً من مثلبة إلى منقبة حسنة وعمل يراد به وجه الله. ومن الواضح أنّ الإمام الخميني كان له دور مهمّ وأساسي في هذا المضمار؛ وذلك لأنّه ـ بعدما رسم أبعاد الثورة الإسلاميّة ـ منح التقريب بعداً آخر، وجعله ينطلق في آفاق أوسع من التأثيرات المحدودة والميادين السياسيّة والاجتماعيّة الضيّقة.

وانطلاقاً من كلّ ذلك دأب مركز البحوث في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ والذي يرى أنّ أهمّ واجباته نشر أدبيات بحوث التقريب وتبنّي الدراسات التطبيقيّة والعلميّة حول هذه المقولة ـ على تقديم نبذة في التعريف بهؤلاء الروّاد وأفكارهم السبّاقة، وما خلّفوه من تجارب، معتبراً كلّ ذلك بمثابة خطوات تمهيديّة على هذا السبيل.

ومن الواضح أنّ التعريف بروّاد التقريب يكتسب أهميته من اعتبار فكرة التقريب تمثّل بحدّ ذاتها وفي نسيجها وتكوينها فكرة إصلاحيّة ودعوة إلى التغيير. وإذا كانت مثل هذه الحركات تروم إبقاء مسارها حيّاً وفاعلاً فلابدّ لها قبل أيّ شيء آخر من إعادة قراءة ملفّاتها الماضية، وعندئذٍ لن تفقد بريقها ورونق أدبياتها السالفة ومعطياتها الماضية، ولن يبقى عطائها ومنجزاتها ناقصاً خداجاً غير مكتمل، ولن يكتنفها الجمود.

إنّ للتقريب قدرة على استلهام المعطيات العلميّة الموروثة من الماضي، إلى جانب السعي إلى فتح آفاق وميادين جديدة على صعيد العلم والبحث، فإنّه يفعّل أدبياته الماضية من جهة، ويعمل من جهة أُخرى على توفير الأرضيّة العمليّة لتحقيق الغايات والأهداف والمثل النهائيّة التي يصبو إليها.

بينما لو تجاهل التقريب تراثه المشرق، وأهمل جهود كبار شخصيّاته في السنوات السالفة، تعويلاً منه على قدرة المعاصرين على حلّ جميع العقد المستعصية في فكرة التقريب، فلن تكون نتيجة عمله أكثر من تقديم توصيات متناثرة، لا يخلو بعضها من السطحيّة.

كُرِّس الكتاب الذي بين أيديكم لإلقاء نظرة على حياة وسيرة **المرحوم الامام البروجردي** الذي يُعدّ في عداد الشخصيات الأُصيلة المعدودة التي كان لها قصب السبق في ميدان التقريب.

تكفّل بإعداد هذا الكتاب الباحث الكريم سماحة حجّة الإسلام والمسلمين «عبد الرحيم أباذري»، بتوجيهات وإرشادات سماحة حجّة الإسلام والمسلمين «محمود مهدي پور»، وقد جرى إعداده في قسم البحوث التابع لمركز التقريب في قم.

ونحن إذ نعرب عن جزيل شكرنا للكاتب الكريم والمرشد المحترم، نقدّم أسمى آيات الشكر لسماحة حجّة الاسلام والمسلمين السيّد «حسن الربّاني» عضو الهيئة العلميّة في مركز البحوث؛ لما بذله من جهود قيّمة ـ بصفته مشرفاً على هذا المشروع ـ في إخراج هذا البحث بأكمل صورة وأبهىٰ حلّة.

آملين أن يؤدّي توجّه الباحثين في الحوزة والجامعة بمزيد من الاهتمام نحو قضيّة التقريب، إلى تمهيد الأرضيّة لتدوين وتعريف أُطروحات من هذا القبيل على نحو أوسع وأشمل.

مركز البحوث

في

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة

الفصل الأوّل :

حياته

ولادته ونسبه

ولد الامام السيّد حسين الطباطبائي البروجردي في شهر صفر من عام ١٢٩٢هـ في مدينة بروجرد. وتولّى تربيته ورعايته منذ نعومة أظفاره والده العالم الحاجّ السيّد علي الطباطبائي، ودخل المكتب بتوجيه منه، ودرس هناك كتب: گلستان «روضة الورد» للشاعر سعدي الشيرازي[1]، وجامع المقدمات للسيوطي[2]، والمنطق. ثمّ دخل ـ بعد ذلك ـ مدرسة (نور بخش) في تلك المدينة. واهتمّ إلى جانب مواصلة دروسه الحوزويّة، مثل: النحو، والصرف، والبلاغة، والمنطق، والفقه والأُصول، اهتمّ باكتساب الفضائل الأخلاقيّة حتّى بلغ

---

(١) مشرف الدين مصلح بن عبدالله سعدي الشيرازي: شاعر إيران المشهور. تعلّم في شيراز، ثمّ سافر إلى بغداد وأكمل دراسته في المدرسة النظاميّة، ثمّ رجع إلى شيراز، واشتغل بتصنيف (سعدي نامه) أو (بوستان)، بالإضافة إلى عدد كبير من القصائد والغزليات والرباعيات والمقالات. كما كتب قصائد باللغة العربيّة. توفّي بين سنة ٦٩١ و٦٩٤ هـ، ودفن في شيراز. (لغت نامه ٩: ١٣٦٥٧).

(٢) جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمّد بن سابق الدين الخضيري السيوطي: إمام حافظ ومؤرّخ أديب وعالم كبير. ولد عام ٨٤٩ هـ، ونشأ في القاهرة يتيماً، ولمّا بلغ الأربعين اعتزل الناس جميعاً وألّف أكثر كتبه التي يربو عددها على (٦٠٠) كتاب. وكان الأغنياء والأُمراء يعرضون عليه المنح والهدايا فيردّها. توفّي عام ٩١١ هـ. من مصنّفاته: الإتقان في علوم القرآن، الأشباه والنظائر، تاريخ أسيوط، تاريخ الخلفاء، تدريب الراوي، الجامع الصغير، متشابه القرآن، همع الهوامع. (شذرات الذهب ٨: ٥١ ـ ٥٥، معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة ١: ١٠٧٣ ـ ١٠٨٥، الأعلام للزركلي ٣: ٣٠١ ـ ٣٠٢).

الدرجة اللازمة من الرقي والكمال والسمو[١].

ينتهي نسبه إلى السادات الطباطبائيّين في مدينة بروجرد، وينتهي نسب هذه السلالة من بعد ثلاثين ظهراً إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

توجد في سلسلة نسبه لأبيه وأُمّه شخصيات لامعة أخذت على عاتقها في القرون الأخيرة زعامة العالم الشيعي.. فجدّه الخامس السيّد محمّد الطباطبائي البروجردي[٢]، كان من كبار المجتهدين في النجف الأشرف، وله كتب ومؤلّفات[*].

---

(١) گلشن أبرار (رياض الأبرار) ٢: ٦٦٢.

(٢) محمّد بن عبدالكريم الطباطبائي البروجردي، من الفقهاء العلماء. ولد في أصفهان، وهاجر إلى النجف الأشرف، وتخرّج على علمائها الأعلام، ثمّ ذهب إلى كرمان شاه، وبعد ذلك توجّه نحو بروجرد، وواصل التدريس والتأليف حتّى وافته المنيّة عام ١٢٠١ هـ. له مؤلّفات، منها: شرح المفاتيح، تحفة الغري، فضل مسجد الكوفة، الجبر والاختيار. (الذريعة ١٣: ٣٠٦، الفوائد الرضويّة: ٥٥٢، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

(*) ولد هذا السيّد ـ كما صرّح به نفسه في رسائله وسيّدنا الأُستاذ أيضاً في رسالته ـ في مدينة أصفهان، ولا مستند لما في بعض المصادر بأنّه ولد بمدينة زوارة، وهي إحدى المدن التابعة لأصفهان، ولا تزال تقطن فيها عائلات من السادة الطباطبائيّين.

بدأ دراسته في أصفهان، ثمّ انتقل إلى النجف، ومكث فيها ما شاء الله، وكانت له رحلات إلى أصفهان مسقط رأسه. وفي إحدى تلك الرحلات من النجف أو من أصفهان مرّ على بروجرد، وهي من بلاد الجبل قديماً، ورأيت بها مسجداً عتيقاً فيه كتيبة باسم أبي دُلف الذي حكم الجبل في القرن الثالث. فلبث فيها أيّاماً بسبب توقّف طارى للقافلة. وكان أهالي بروجرد آنذاك يكابدون أذى الصوفيّة واضطهادهم، ووصلت حالتهم حدّاً بلغ السيل فيها الزبى، فلمّا سمعوا بوجود السيّد في مدينتهم طلبوا منه المكوث عندهم، فلبّى السيّد طلبهم بعد أن استخار الله، ونزل في حيّ الصوفيّة المعروف الآن (صوفيان) للحيلولة دون انتهاكاتهم، فاستثمر الناس الفرصة، والتفّوا حوله، وعلى أثر توجيهاته وإرشاداته استبصر كثيرٌ من الصوفيّة، فطوى بساطهم.

←

. . . .

→ هذا ما ورد في جملة من المصادر، وقد بحث السيّد الأُستاذ حول هذا الحادث، واحتمل في آخر كلامه أنّ ما اشتهر في الألسن من أنّه مال كثير من أهالي البلد إلى التصوّف وبنزول السيّد بها زال هذا الاتّجاه الصوفي، إنّما وقع ببلدة كرمانشاه، فبدّلها المترجمون ببروجرد؛ لأنّها ـ أي: كرمانشاه ـ كانت حين ذاك مجتمع القلندريّة والباطنيّة، فلعلّ السيّد فرّق جمعهم، وبعدما انتقل عنها وتوفّي تجمّعوا فيها أكثر من ذي قبل، فدعى ذلك سبطه الآغا محمّد علي بن الوحيد البهبهاني رحمهما الله أن ينزل بها؛ لدفعهم أو كسر سورتهم، ومواقف سبطه هذا مع الصوفيّة مشهورة.

قال السيّد الأُستاذ: «وأمّا محلّ إقامة السيّد فالذي علم من المصادر السابقة أنّه بعدما ولد بأصبهان، وأقام بها ما شاء الله، سافر إلى الغري وأقام به في كثير من عمره الشريف أو أكثره، بحيث كان يُوصف بالأُصفهاني النجفي، أو بالأُصفهاني مولداً والنجفي مسكناً»، بل تقدّم ـ يعني: في كلام السيّد ـ في الرسالة عن حفيده السيّد جواد رحمه الله أنّه كان ميلاده بأصبهان وموطنه النجف، إلى آخر ما قال.

وأمّا بالنسبة إلى محلّ وفاته فقد جاء في بعض تلك المصادر أنّه توفّي بكرمانشاه راجعاً من العراق، فأُودع جثمانه الطاهر هناك ريثما يتمّ دفنه بالعتبات المقدّسة، إلّا أنّ أهالي بروجرد عندما سمعوا هذا الحادث الجلل، توجّه جمع منهم إلى كرمانشاه، فنقلوه إلى بلدهم بروجرد، وله مزار معروف هناك، شيّد سيّدنا الأُستاذ عليه بناءً فخماً من موقوفات آل الطباطبائي.

لكنّ الأُستاذ أظهر الشكّ والتردّد في موت السيّد ببلدة كرمانشاه في بحث طويل، رجّح أخيراً أنّه بعد أن أقام بها راجعاً عن النجف مدّة ثمّ هاجر إلى موطنه بروجرد في آخر حياته فتوفّي هناك، علماً بأنّه ـ كما قلنا ـ مدفون ببروجرد، كما تواتر خبره بين الأُسرة خلفاً عن سلف.

وأمّا تاريخ ولادته ووفاته ومبلغ عمره فلا يعلم بالضبط. وقد بحث حوله الأُستاذ في الرسالة فانتهى إلى أنّه لا يستبعد أن تكون ولادته في الخُمس الأخير من القرن الحادي عشر الهجري (أي: بين عام ١٠٨٠ وعام ١١٠٠)، ووفاته في العُشر السادس من القرن الثاني عشر (أي: بين ١١٥٠ و١١٦٠)، وأنّه عاش في طبقة محمّد أكمل والد الوحيد البهبهاني، والسيّد صدر الدين شارح الوافية، والسيّد نعمة الله الجزائري. ولم يستبعد الأُستاذ حضور ←

. . . .

← السيّد محمّد درس خاله العلّامة المجلسي، كما جاء في بعض المصادر.
وأمّا مقدرته العلميّة فقال السيّد الأُستاذ: «قد تحقّق لنا من ملاحظة مصنّفاته أنّه كان فقيهاً، أُصولياً، متكلّماً أديباً، مطّلعاً على الفنون العقليّة والنقليّة، واقفاً على أقوال العامّة والخاصّة ورواياتهما في الفقه والكلام، مستنبطاً للأحكام عن أدلّتها، مستخرجاً لفروع المسائل عن أُصولها».
وقد حكى الأُستاذ عن كتاب «الروضات» أنّه أحد الشيوخ الثلاثة لمولانا الوحيد البهبهاني، ثمّ أيّد هذا القول بمساعدة الطبقة ووجود القرابة بينهما نسباً وسبباً مع وحدة الموطن والمقام.
وأمّا آثاره العلميّة ومؤلّفاته فقد ذكرها الأُستاذ، وذكر أبوابها وفصولها وتاريخ تأليفها، ونوجزها فيما يأتي:
١ ـ رسالة في الإيمان والإسلام والكفر، فرغ منها في شهر رمضان عام ١١٢٦ هـ.
٢ ـ رسالة في مولد النبي والأئمّة (صلوات الله عليهم) ووفياتهم، فرغ منها في شهر شوّال عام ١١٢٦ هـ.
٣ ـ رسالة في الزيارات، فرغ منها في أواخر رمضان عام ١١٤٠ هـ.
٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾، بلا تاريخ.
٥ ـ شرح المفاتيح للفيض الكاشاني، لم يره، بلا تاريخ.
٦ ـ رسالة في صوم يوم عاشوراء، لم يقف عليها الأُستاذ.
هذا ما ذكره الأُستاذ في رسالته، ولكن آية الله السيّد محمّد باقر الطباطبائي المعروف بالسلطاني ـ وهو من المدرّسين الكبار بقم ومن نفس الأُسرة وكبيرها في الوقت الحاضر ويتلاقى نسبه كما حدثني هو مع السيّد الأُستاذ في السيّد جواد الجدّ الثالث للأُستاذ ـ قد طبع بالأُفست مجموعة من رسائل جدّه عام ١٣٦٤ هـ، وسمّاه بـ «مجمع الفوائد».
أعقاب السيّد محمّد الطباطبائي:
خلّف السيّد أربعة أولاد، هم: السيّد مرتضى ـ وهو الجدّ الرابع للامام البروجردي ـ والسيّد رضي، والسيّد رضا، والسيّد علي، وبنتاً واحدة هي عقيلة تلميذه المحقّق آغا محمّد باقر الأصفهاني المعروف بـ (الوحيد البهبهاني)، كما عن كتاب «روضات الجنّات»، وهي والدة العالم الجليل آغا محمّد علي الكرمانشاهي، الجدّ الأعلى لأُسرة (آل آغا)، وكان جميع ←

وهو يُعتبر من جهة ثانية ابن أُخت الشيخ المجلسي الأوّل[١]، ويعدّ الفقيه البارع السيّد محمّد مهدي الطباطبائي المعروف ببحر العلوم[٢] عمّ جدّه الثـاني،

← وُلد السيّد محمّد من العلماء أصحاب الجاه والسطوة، ولهم باع في التأليف، يمكنك الوقوف عليها في رسالة السيّد الأُستاذ وغيرها.

كان السيّد مرتضى يسكن النجف في البداية، ثمّ توجّه تلقاء كربلاء، حيث يسكـنها بـنو أعمامه الطباطبائيّون فرع كربلاء، وفيها توفّي عام ١٢٠٤ هـ، وصلّى عليه ابنه العلّامة بحر العلوم، ودُفن في رواق الإمام الحسين عليه‌السلام عند أقدام الإمام، حيث يـثوي السـيّد عـلي صاحب الرياض، والعلّامة الوحيد البهبهاني، وكان اسمه منقوشاً على الصندوق مع اسمهما، بيد أنّه انمحى بعد ذلك، حيث بدّل آل صاحب الرياض الصندوق، فأمر الامام البروجردي بنقشه ثانيةً.

وخلّف السيّد مرتضى ابنين: أحدهما السيّد جواد ـ وهو الجدّ الثالث للامام البروجردي ـ وثانيهما العلّامة النحرير بحر العلوم السيّد مهدي.

أمّا السيّد رضي والسيّد رضا فقد كانايسكنان في بروجرد، فماتا فيها ودُفنا مـع والدهـما السيّد محمّد، ولهما أعقاب بها.

وأمّا السيّد علي فقد انتقل إلى يزد بطلب من أهاليها، وكانت له حوزة علميّة وطلّاب هناك، ووافاه الأجل فدفن فيها، وله قبر يزار، وعقب كثير. (حياة الإمام البروجردي: ٢٧ ـ ٣٥).

(١) محمّد تقي بن مقصود علي النطنزي الأصفهاني المـعروف بـالمجلسي الأوّل: مـن كـبار محدّثي الشيعة. ولد في أصفهان سنة ١٠٠٣ هـ، وصرف عنفوان شبابه في تحصيل العلوم، ودرس عند: بهاء الدين محمّد العاملي، وعبدالله بن الحسين التستري، وروى عنهما. أخذ عنه جـماعة، مـنهم: أولاده: عـزيز الله وعـبدالله ومـحمّد بـاقر، والحسـين بـن مـحمّد الخوانساري، وإبراهيم بن محمّد اليزدي. تولّى إمامة الجمعة في أصفهان، وصنّف كـتباً، منها: روضة المتّقين، رسالة في الرضاع، شرح الصحيفة السجّاديّة، رسالة في وجوب صلاة الجمعة. توفّي بأصفهان عام ١٠٧٠ هـ. (رياض العلماء ٥: ٤٧ ـ ٤٨، لؤلؤة البحرين: ٦٠ ـ ٦١، معجم مؤلّفي الشيعة: ٣٨٤).

(٢) محمّد مهدي بن مرتضى بن محمّد الحسني الطباطبائي المعروف بـبحر العـلوم: العـلّامة المتفنّن والأديب الشاعر. كان زعيم الطائفة الإماميّة فـي عـصره. ولد فـي كـربلاء سـنة ١١٥٥ هـ، وحضر على: والده، والمحدّث البـحراني، والوحـيد البـهبهاني، والدورقـي، ←

وبحر العلوم أحد الفقهاء العظام، ومن التلاميذ البارزين للوحيد البهبهاني[1].
وكذلك أخو العلّامة آية الله السيّد جواد الطباطبائي جدّه الثالث، ونجله الميرزا علي نقي الطباطبائي جدّه الثاني، ونجله الحاجّ الميرزا أحمد الطباطبائي الجدّ الأوّل للامام البروجردي، كلّهم من المجتهدين البارزين[2].

وعلى صعيد آخر نلاحظ أنّ السيّد محمّد الطباطبائي صهر «المير أبو طالب» نجل أبي المعالي الكبير صهر الملّا صالح المازندراني[3]، والذي كان

← وغيرهم. ومهر في الفقه والأُصول، وتضلّع في الحديث الرجال والفلسفة. وتخرّج عنده جماعة من الأعلام، كالشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيّد صدر الدين العاملي، والسيّد عبدالله شبّر، والسيّد محمّد جواد العاملي، والسيّد محسن الأعرجي، وآخرين. من مؤلّفاته: المصابيح، الدرّة النجفيّة، حاشية ذخيرة المعاد، الفوائد الرجاليّة، ديوان شعر. توفّي بالنجف سنة ١٢١٢ هـ. (روضات الجنّات ٧: ٢٠٣ ـ ٢١٦، بهجة الآمال ٧: ١١٦ ـ ١٢٢، هديّة العارفين ٢: ٣٥١).

(١) محمّد باقر بن محمّد أكمل بن محمّد صالح الأصفهاني الحائري المعروف بالوحيد البهبهاني والأُستاذ الأكبر: من أعلام الإماميّة وأفذاذ المحقّقين. ولد في أصفهان سنة ١١١٧ هـ، ونشأ بها، ثمّ انتقل إلى بهبهان، فأقام بها ردحاً من الزمن. تتلمذ على جماعة، منهم: والده، والسيّد صدر الدين الهمداني القمّي، وجدّ السيّد بحر العلوم. وتتلمذ على يديه: السيّد بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيّد محمّد جواد العاملي، والشيخ محمّد مهدي النراقي، والسيّد علي الطباطبائي الحائري، والشيخ أسد الله الكاظمي، وغيرهم. توفّي في كربلاء سنة ١٢٠٥ هـ. له مصنّفات كثيرة، من ضمنها: شرح المفاتيح، حاشية المدارك، الاجتهاد والأخبار، حاشية المعالم، أُصول الإسلام والإيمان. (معارف الرجال ١: ١٢١ ـ ١٢٣، تتميم أمل الآمل: ٧٤ ـ ٧٥، الكنى والألقاب ٢: ١٠٩ ـ ١١٠).

(٢) للاطّلاع على مزيد من المعلومات راجع كتاب: «نسب السادات البروجرديّين»، من تأليف الامام البروجردي.

(٣) أبو الفضائل حسام الدين محمّد صالح بن أحمد بن شمس الدين المازندراني: العالم الإمامي الربّاني. ورد أصفهان، وسكن إحدى مدارسها طالباً العلم، وكابد شظف العيش، إلّا ←

صهراً للمجلسي الأوّل «الملّا محمّد تقي».

وفي الحقيقة أنّ السيّد محمّد قد تزوّج بنت خالته، كما أنّ زوجة «المير أبو طالب» هي بنت الملّا عبدالله النجل الآخر للمجلسي الأوّل، وأخو المجلسي الثاني «الملّا محمّد باقر»[1] مؤلّف كتاب: «بحار الأنوار».

وهذا يعني: أنّ الامام البروجردي ينتسب إلى المجلسي الأوّل عن ثلاثة طرق، وهو حفيده لابنته[*].

← أنّ ذلك لم يعقه عن التفرّغ لدراسته وإحياء الليالي بالمطالعة، فتقدّم تقدّماً ملموساً في مدّة قصيرة. قرأ عليه الأفندي التبريزي، وروى عنه الفيض الكاشاني. صنّف كتباً، منها: شرح الكافي، شرح الفقيه، شرح معالم الأُصول، شرح زبدة الأُصول. توفّي بأصفهان سنة ١٠٨٦ هـ. (جامع الرواة ٢: ١٣١، أمل الأمل ٢: ٢٧٦، أعيان الشيعة ٧: ٣٦٩).

(١) محمّد باقر بن محمّد تقي بن مقصود علي الأُصفهاني المعروف بالمجلسي الثاني: أحد أئمّة الحديث الإماميّة. ولد في أصفهان سنة ١١٠٣٧ هـ، وأكبّ في عنفوان شبابه على طلب العلوم بأنواعها، ثمّ صرف همّته إلى تتبّع كتب الحديث. وولّي إمامة الجمعة والجماعة، ثمّ تقلّد منصب شيخوخة الإسلام، وقصده طلّاب العلوم، وازدحم عليه المستفيدون، كالسيّد نعمة الله الجزائري، وسليمان بن عبد الماحوزي، والفاضل الهندي، ومحمّد بن علي الأردبيلي، وغيرهم. من مؤلّفاته: بحار الأنوار، ملاذ الأخيار، مرآة العقول، رسالة الأوزان، الوجيزة في الرجال، حلية المتّقين. توفّي في أصفهان سنة ١١١٠ هـ. (رياض العلماء ٥: ٣٩ ـ ٤٠، هديّة العارفين ٢: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، لؤلؤة البحرين: ٥٥ ـ ٦٠).

(*) **العلاقة بين أُسرة الطباطبائي وأُسرة المجلسي:**

أمّا الحديث عن نسبة السيّد محمّد الطباطبائي وأُسرته إلى المجلسيّين فمختلف الآراء، فظاهر كلام السيّد عبدالله ابن السيّد نور الدين ابن السيّد نعمة الله الجزائري (١١١٤ ـ ١١٧٣ هـ) في إجازته الكبيرة المؤرّخة بـ ٢ / ج٢ / عام ١١٦٨ هـ، أنّ السيّد ابن أُخت المولى محمّد باقر المجلسي، وأنّ أمّه كانت بنت المولى محمّد تقي المجلسي. وبه صرّح صاحب «الروضات»، وحكاه الأخ الدواني في كتابه عن السيّد الأُستاذ، قاله له مشافهة.

لكن الذي وصل إليه الأُستاذ في رسالته بعد بحث طويل، استناداً إلى ما وجده في شتات ←

ويمكن القول بعبارة أُخرى: بأنّ المجلسي الأوّل يدخل في سلسلة أجداد الامام البروجردي، فيما يُعتبر المجلسي الثاني خاله[١].

وإسماعيل الديباج هو الجدّ السابع والعشرين للامام البروجردي، وهو

← مؤلّفات جدّه السيّد محمّد (حيث يصرّح فيها بأنّ التقي المجلسي جدّه، والباقر المجلسي خاله، وكذلك يصرّح بأنّ المولى صالح المازندراني صهر المجلسي الأب كان جدّه، وزوجته آمنة بيگم بنت المجلسي الأب وأُخت المجلسي الثاني كانت جدّته، وقد سرد نصوصاً من كلامه) هو أنّ أمّ السيّد محمّد كانت ابنة المولى صالح وإن لم تذكر هذه في جملة أولاده، وأنّ السيّد الجزائري ومن بعده لم يقفوا على مؤلّفات السيّد محمّد. وعليه فالمجلسي الأوّل كان جدّ أُمّه، والمجلسي الثاني كان خالها.
ومن هنا جاء التعبير عنهما بالجدّ والخال في كلام جماعة من هذه الأُسرة، ومن يتّصل بهم نسباً وسبباً. وكان السيّد الأُستاذ أيضاً يعبّر عنهما بالجدّ والخال، على أنّ هناك أسباباً أُخرى لهذين التعبيرين؛ من أجل مزاوجات كثيرة اتّفقت في الأُسرة، تعرّض لها سيّدنا الأُستاذ في الرسالة في فصل خاصّ:
(منها): أنّ أبا المعالي الكبير الطباطبائي ـ وهو ابن السيّد مراد وأخو السيّد عبد الكريم وعمّ السيّد محمّد الطباطبائي والجدّ الأعلى للسيّد علي صاحب الرياض والسادة الطباطبائيّين القاطنين بكربلاء ـ كان صهراً لملّا صالح المازندراني ـ وهو صهر المجلسي الأوّل ـ على ابنته الأُخرى من آمنة، خلّف منها الأمير أبا طالب، وهو أبو المعالي الصغير، وهذا أيضاً بدوره خلّف بنتاً كانت تحت السيّد محمّد الطباطبائي، وهي أُمّ السيّد مرتضى الجدّ الرابع لسيّدنا الأُستاذ، وقد خلّف هذا منها بنتاً واحدة كانت تحت العلّامة الوحيد البهبهاني ﵀.
و(منها): أنّ الأمير أبا طالب كان صهراً لآغا رضي بن عبدالله بن المولى محمّد تقي المجلسي، وخلّف منها بنتاً كانت تحت السيّد محمّد الطباطبائي، كما مرّ آنفاً. فالمجلسي الأوّل هو جدٌّ للسادة الطباطبائيّين في بروجرد من ناحية الأُمّ مرّتين، كما أنّ المجلسي الثاني خالهم كذلك من ناحيتين، بل ثلاثة مع أحتساب أُمّ السيّد محمّد التي ـ كما مرّ بنا ـ كانت بنت بنت المجلسي الأوّل وبنت أُخت المجلسي الثاني. (حياة الإمام البروجردي: ٣٢ ـ ٣٤).

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ٧٣.

الذي سُجن في أعقاب ثورة محمّد ذي النفس الزكيّة[١] ضدّ حكّام بني العبّاس ثلاث سنوات في المدينة المنوّرة، وسنتين في السجن المعروف بـ«الهاشميّة» قرب الكوفة، بأمر من المنصور العبّاسي[٢]. وهذا هو والد السيّد إبراهيم طباطبا الذي يعود إليه نسب كلّ السادات الطباطبائيّين.

وقد قيل في سبب شهرته بهذا اللقب: بأنّ إسماعيل الديباج أراد ذات يوم شراء ثياب لابنه إبراهيم، فسأله: «هل تريد قميصاً أو قباءً»؟ وكان إبراهيم طفلاً وفيه لكنة، فقال: «طباطبا»، ومراده: قبا قبا.

وأصبحت كلمة (طباطبا) لقباً له منذ ذلك الحين. وتعني كلمة (طباطبا) في لغة الأنباط ـ وهم عرب غير فصحاء ـ: السيّد والشريف[٣].

هجرته إلى أصفهان

دخل السيّد حسين الطباطبائي في عام ١٣١٠هـ ـ عندما كان في الثامنة

---

(١) محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني الهاشمي الملقّب بذي النفس الزكيّة: أحد ثوّار الشيعة. حدّث عنه: عبدالله بن جعفر المخرمي، وعبد العزيز الدراوردي، وعبد الله بن نافع الصائغ. ثار على المنصور العبّاسي مطالباً بالرضا من آل محمّد، فجهّز له المنصور ولي عهده عيسى بن موسى، فحاربه وقتله عند أحجار الزيت سنة ١٤٥ هـ. كان رجلاً شجاعاً تقياً سخياً، وخلّف من الأولاد: حسناً وعبدالله، وفاطمة، وزينب. (سير أعلام النبلاء ٦: ٢١٠ ـ ٢١٨، الجرح والتعديل ٧: ٢٩٥، الكامل في التاريخ ٥: ٢ ـ ١٣).

(٢) أبو جعفر عبدالله بن محمّد بن علي بن العبّاس المنصور: ثاني خلفاء بني العبّاس. ولد قرب معان سنة ٩٥ هـ، أمّه بربريّة تدعى سلامة، وقد ولّي الخلافة بعد وفاة أخيه السفّاح سنة ١٣٦ هـ، وبنى مدينة بغداد وجعلها دار ملكه بدلاً من الهاشميّة التي بناها السفّاح. قتل أُناساً كثيرين في سبيل تعزيز ملكه. توفّي في مكّة سنة ١٥٨ هـ. (البدء والتاريخ ٦: ٩٠، مروج الذهب ٣: ٢٩٤ ـ ٣١٨، فوات الوفيات ٢: ٢١٦ ـ ٢١٧).

(٣) نسب السادات البروجرديّين: ١٨ ـ ١٩.

عشر من عمره ـ الحوزة العلميّة في أصفهان، وسكن في مدرسة (صدر) في تلك المدينة(*).

(*) أقام الامام البروجردي في مدرسة الصدر التي لا زالت مركزاً للحوزة العلميّة في تلك المدينة الكبيرة. أنس بمرافقة ابن عمّه الفاضل (آغا نوح الدين) الذي كان مقيماً معه في تلك المدرسة، لذلك لم يشعر بالغربة كثيراً.

كانت مدينة أصفهان يومئذٍ ـ بمدارسها الكثيرة وعلمائها وفضلائها ومدرّسيها المشهورين ـ مهوى أفئدة طلّاب العلم، تجذبهم إليها، وتلهب أوار الشوق في نفوسهم نحوها.

كان السيّد الأُستاذ يرى بأنّ فترة إقامته في أصفهان كانت من أسعد وألذّ الفترات في حياته، وطالما كان يتحدّث في مناسبة وأخرى عن ذكرياته العذبة الحلوة في تلك المدينة العظيمة، فيبعث الحديث في نفسه البهجة والاغتباط. وبما كان يحمله من روح عرفان الجميل وشكر النعمة، لذلك كان يذكر أساتذته وزملائه في تلك البلدة بخير.

وممّا كان يقوله مثلاً: بأنه عند نزوله في أصفهان حضر درس المرحوم السيّد محمّد باقر درچه‌اي، فكان يبدي له هذا الأُستاذ ودّه ومحبّته بدرجة لا حدّ لها، مع تمتّعه بجميع الفضائل العلميّة والملكات الأخلاقيّة. لذلك لم ينس هذا الأُستاذ حتّى آخر لحظة من عمره.

ومن جملة ما كان يذكره عنه محاولته إزالة الوسواس من السيّد الأُستاذ، حيث كان يقف على رأسه، وهو يظنّ أنّه يتوضّأ وضوءً باطلاً، أو يصلّي بحضوره صلاة غير صحيحة، إلى أن رفع الوسواس من نفسه.

مضافاً إلى درس هذا الأُستاذ، كان يحضر عند الميرزا أبي المعالي الكلباسي، والسيّد محمّد تقي المدرّس، وكان ذانك العالمان من فطاحل العلماء حينئذٍ. والآراء الصائبة الدقيقة التي كان يطرحها هذا التلميذ في حلقات الدرس لفتت أنظار الأساتذة نحوه تدريجاً، وأضحت كفاءته واستعداده وذوقه حديثاً يتداوله الطلّاب. فلو غاب عن الدرس يوماً فإنّ غيابه كان ملحوظاً.

فكّر هذا الطالب الذي احتلّ موقعاً بين الطلّاب الأفاضل في تعلّم الفلسفة، مضافاً إلى الفقه والأُصول، وكان يشعر بنقص في معلوماته بدون هذا العلم. علماً بأنّ الفلسفة كانت تحظى بمنزلة خاصّة في أصفهان وطهران ومشهد آنذاك، وكان في أصفهان عددٌ من الفلاسفة المشهورين، بعضهم من تلامذة الحكيم المشهور الحاجّ ملّا هادي السبزواري (١٢١٣ ـ

←

وكانت الحوزة العلميّة في أصفهان على درجة عالية من الازدهار في تلك الأيّام، وقد انتهز الامام البروجردي تلك الفرصة ودرس ـ كي ينهل من العلوم ـ لمدّة أربع سنوات على يد أساتذة كبار، من أمثال: الميرزا أبي المعالي الكلباسي، والسيّد محمّد تقي المدرّس، والسيّد محمّد باقر الدرچي، وجهانگير خان

← ١٢٨٩ هـ)، ولهم ميول واتّجاهات فلسفيّة متنوّعة، فكان من بين هؤلاء الذين يدرّسون في مدرسة الصدر نفسها الآخوند ملّا محمّد الكاشي، وهو فيلسوف وعارف ربّاني لا زال اسمه وصداه يرنّ في الأوساط العلميّة رغم مضي ما يقارب القرن، وكان يسكن في إحدى الغرف الشماليّة السفليّة في تلك المدرسة إلى آخر حياته، ولم يتزوّج.

واتّفقت الكلمة على عظمته وجلالته عند كلّ من رآه أو حضر درسه، وقد أدركت أنا شيخاً كبيراً من علماء أصفهان، كان أيّام شبابه مع الآخوند الكاشي في حجرة واحدة فترة من الزمن، فنقل لي مقتطفات عن زهده وطعامه ولباسه، وحكى لي أنّ الآخوند أخبرنا بأنّ للسيّد أبي الحسن الأصفهاني ـ وكان ممّن حضر درس الآخوند ـ مستقبلاً مشرقاً، وقد تحقّق صدقه.

ومن أساتذة الفلسفة الآخرين يوم ذاك في أصفهان المرحوم جهانگير خان القشقائي (١٢٤٣ ـ ١٣٢٨ هـ) الذي لا زالت له شهرته ومنزلته عند أهل العلم، ولعلّ آخر من بقي من تلامذته هو العالم المشهور المعاصر آية الله أرباب الأصفهاني الذي توفّي قبل بضع سنين.

وجد السيّد الأُستاذ طريقه إلى درس هذين الأُستاذين الحكيمين، وحصل على معلومات كافية خلال مدّة قصيرة، وكان أُستاذه جهانگير خان يولي هذا الطالب المستعدّ عناية خاصّة، ويركّز على مخاطبته في الدرس.

وقد سمعت آية الله الشيخ محمّد رضا الكلباسي الأصفهاني القاطن في مشهد حوالي خمسين سنة ـ وكنت أدرس عنده شرح المنظومة برهة من الزمن وكان من زملاء الامام البروجردي وشركائه في الدرس أيّام إقامته بأصفهان ـ يقول: «إنّي سعيت في اتّجاه الامام البروجردي إلى درس الفلسفة، ولحضوره حلقة جهانگير خان، وكان السيّد يشكرني إلى آخر أيّام حياته».

وكان الامام البروجردي يقول: «بأنّ مدرسة الصدر لم تعهد مثل ذلك النظام ومثل أُولئك الأساتذة في حياتها، وإنّه لم يرَ طلّاباً كطلّابها منهمكين في طلب العلم». (حياة الإمام البروجردي: ٤٠ ـ ٤٣).

القشقائي[١]، والملّا محمّد الكاشاني[٢].

وفي أحد الأيّام بينما كان منهمكاً بالبحث والدراسة كما هو دأبه في سائر الأيّام، وصلته رسالة من أبيه يدعوه فيها إلى القدوم لمدينة بروجرد، فاضطرّ إلى السفر إلى موطنه. وبعد لقاء أبيه وأقاربه علم أنّ الغاية من وراء استدعائه هي أنّهم قد أعدّوا له مقدّمات الزواج، إلّا أنّه في بداية الأمر كان يخشى أن يكون الزواج عائقاً أمام مواصلته للدراسة، فامتنع عن القبول، ولكنّه وافق بعد استشارة والده، ونتيجة لإصرار الأخير. وبعد أن مكث عدّة أيّام توجّه هذه المرّة من بروجرد إلى أصفهان وبرفقته زوجته، وعكف على الدراسة والبحث في تلك الحوزة العلميّة لمدّة خمس سنوات، فبلغت مدّة إقامته ودراسته في حوزة أصفهان تسع سنوات[٣]، وبلغ في هذه المدّة مراتب عليا من الاجتهاد[٤].

سفره إلى النجف الأشرف

عاد الامام البروجردي في عام ١٣١٩هـ إلى موطنه للقاء والده، وتوجّه

---

(١) جهانگير خان بن محمّد خان الأصفهاني القشقائي: عالم كبير وحكيم متألّه. رغب في تحصيل العلم وقد بلغ من العمر أربعين سنة، فترك التجارة، وأخذ المقدّمات، ودرس المعقول والمنقول، وهاجر إلى النجف وتتلمذ على الشيخ الجواهري بجدّ وإتقان، حتّى طبق ذكره البلاد، ثمّ عاد إلى أصفهان وتصدّى للتدريس، وتخرّج عليه جمع غفير من الطلبة. له: ديوان شعر فارسي، وشرح نهج البلاغة. توفّي بأصفهان سنة ١٣٢٨ هـ. (الذريعة ١٤: ١٢٢، الغدير ٤: ٢٦٣، الفوائد الرضويّة: ٨٨).

(٢) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العدد: ٥٣ / صفحة: ٥٢ و٥٧.

(٣) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ٩٥.

(٤) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و٤٤ / صفحة: ٣١٤.

من بعد ذلك إلى النجف الأشرف نزولاً عند رغبة وإصرار أبيه(*).

(*) تأسّست الحوزة العلميّة في النجف أيّام هجرة شيخ الطائفة الإماميّة الشيخ الطوسي إليها سنة ٤٤٨ هـ، بعد تركه بغداد على أثر احتلالها من قبل طغرل بك السلجوقي، وأصبحت داراً صغيرة للعلم حتّى سنة ٤٦٠ هـ، حيث توفّي الشيخ الطوسي. وعاشت فترات مدّ وجـزر، ومراحل من تقلّبات الدهر على امتداد القرون. وللعلّامة الطهراني صاحب كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» كلام حول تلك الحوزة في مقدّمته على تفسير «التبيان» التي سمّاها (حياة شيخ الطائفة)، حيث احتمل وجود تلك الحوزة قبل هجرة الطوسي إلى النجف.
ومهما كان الأمر، فلقد كان لتلك الحوزة ـ والتي كانت كعبة الآمال لطلّاب العلوم الدينيّة ومعارف أهل البيت عليهم السلام واحتضنت آلاف العلماء المحقّقين ـ تألّق ملحوظ من الناحية الكمّيّة والنوعيّة آنذاك، أي: سنة ١٣٢٠ هـ، بل لم يشهد النجف حتّى ذلك العصر حلقة درس فيها ألف ومائتا طالب كالتي كان يديرها آية الله الآخوند محمّد كاظم الخراساني صاحب كتاب «كفاية الأُصول».
وما عدا درس الآخوند الخراساني الذي كان أكثر الدروس طلّاباً، فقد كان هناك آية الله السيّد محمّد كاظم اليزدي صاحب كتاب «العروة الوثقى»، وآية الله شيخ الشريعة الأصفهاني، وأمثالهما، حيث كانوا مشغولين بالتدريس.
كان السيّد الأُستاذ يوم ذاك ابن ثمان وعشرين سنة ومن شباب طلّاب الآخوند. وبعد أيّام من حضوره في الدرس سجّل إشكالاته وقدّمها إلى أُستاذه في جلسة خاصّة، فطرحها الأُستاذ في الدرس وأجاب عليها. ومنذ ذلك الحين أصبح ذلك التلميذ الشابّ الجديد موضع اهتمام أُستاذه، وذاع صيته بين الطلّاب.
سمعت المرحوم آية الله السيّد هاشم نجف آبادي أحد العلماء البارزين في مدينة مشهد المقدّسة أنّه كان يرى الامام البروجردي في النجف ـ وقد دخله حديثاً ـ يمشي بكلّ وقار واتّزان، مع أنّه كان شابّاً. وكان الطلّاب يدلّون بعضهم البعض عليه.
وسمعت والدي ـ والذي كانت له علاقة ورابطة خاصّة بالآخوند الخراساني ـ يقول: «إنّه عندما كان يتحدّث الامام البروجردي في درس الآخوند، فإنّ الآخوند يقول لطلّابه: اسمعوا ماذا يقول السيّد، وإذا لم يتحدّث، فإنّ الأُستاذ كان يلتفت إليه بعد طرح الموضوع ويقول له: عندك رأي في هذا الموضوع؟».
زاول الامام البروجردي تدريس كتاب «الفصول» في النجف مضافاً إلى طلبه العلم. وكان
←

وقد درس في الحوزة العلميّة في النجف الأشرف لمدّة تسع سنوات على يد العلمين: الآخوند الخراساني، وشيخ الشريعة الأصفهاني. ودرس خلال تلك المدّة الفقه والأُصول والرجال. وقد أدّت مشاركته الفاعلة في حلقات دروس فقهاء النجف إلى إثارة الشغف والاندفاع والشوق في تلك الحوزة، بحيث كان ما يتّصف به من النباهة والذكاء وحدّة الفهم مدعاة لدهشة الجميع، وذاع في معظم

← لدرسه روعة أكثر من دروس الآخرين.

مضافاً إلى ذلك، فإنّه كان ـ بعد درس الأُستاذ ـ يقوم بتقرير الدرس لجمع غفير من الطلّاب. وكان يحضر ـ مضافاً إلى درس الآخوند ـ درس شيخ الشريعة الأصفهاني والسيّد صاحب «العروة الوثقى»، بيد أنّه كان يتحدّث دائماً عن ذكريات درس الآخوند بكلّ تلهّف ونشاط، حتّى كأنّه يجلس الآن أمام أُستاذه في حلقة الدرس. فمن تأليفاته دورة حاشية «كفاية الأُصول»، وهي ثمرة من ثمرات تلك الفترة، وأنا لم أظفر عليها لحدّ الآن، وكان يحكي ـ كما سمعته ـ قضايا عن أُستاذه فيما يخصّ نظام المشروطة، وما رآه مرّتين في المنام من سقوط أُستاذه من السطح مرّة، ومرّة أُخرى أُصيب بالرصاص ـ وهو على منبر التدريس في المسجد الهندي ـ فسقط على الأرض مضرّجاً بدمه، وقد استقبله سيّدنا الأُستاذ، ورفعه على صدره وهو في صورة طفل، فكأنّه أُلهم في المنام بما سيلقاه أُستاذه الكبير من الصدمات في قضيّة المشروطة.

أقام السيّد الأُستاذ في النجف من سنة ١٣٢٠ حتى سنة ١٣٢٨ هـ، ثمّ عاد إلى بروجرد أواخر تلك السنه إثر طلب متكرّر من أبيه، على أمل أن يعود إلى النجف ثانية، بيد أنّه لم ينجح في ذلك. رجع حاملاً معه إجازة أُستاذه الآخوند الخراساني وشيخ الشريعة الأصفهاني وقد أجازاه في نفس السنة، كما ستقف عليها ونبحث عنها في آخر هذا البحث.

وقد تأسّف الأُستاذ الخراساني على فراقه فيما يدور بينهما من الرسائل، وكان الامام البروجردي هو الآخر يعبّر عن مدى تأثّره دائماً بسبب فراق النجف. وسمعته يقول: بأنّه يأمل العودة إلى النجف.

وبالفعل صمّم على ذلك آخر الأمر، حيث غضب على أعمال الشاه المضادة للإسلام. وكان هذا مغادرة وإعراضاً منه وطعناً بالنظام الحاكم يوم ذاك. وكان في فترة من الزمن يهيّيء أسبابه، لكنّه انصرف وعاجلته المنيّة قبل تحقيق أُمنيته. (حياة الإمام البروجردي: ٤٥ ـ ٤٨).

أوساط الحوزة آنذاك صيت السيّد حسين البروجردي وما لديه من مقدرة علميّة، حتّى غدا موضع اهتمام ورعاية أُستاذه الآخوند الخراساني(١).

وإلى جانب دراسته على يد كبار علماء النجف الأشرف، فقد شرع بتدريس كتاب «الفصول» لجماعة من طلبة العلوم الدينيّة. ولم تكن هذه بداية تدريسه، وإنّما سبق له أن درّس ـ عندما كان مقيماً في أصفهان ويدرّس في حوزتها العلميّة ـ كُتُب: «الروضة البهيّة، والقوانين، والفصول»، لبعض الطلبة بشكل منتظم. وكان تدريس الامام البروجردي لكتاب «الفصول» في النجف الأشرف يتميّز بخصائص بارزة، فها هو يقول: «حاولت في تدريس الفصول الردّ على كلّ إشكالات المؤلّف العلميّة على صاحب القوانين»(٢).

إقامته في بلدته

وبعد أن مكث هذا الفقيه الكبير تسع سنوات في النجف الأشرف ونال درجة الاجتهاد من أُستاذيه في عام ١٣٢٨هـ، غادرها متوجّهاً صوب مدينة (بروجرد) للقاء والديه وصلة أرحامه، ودخل المدينة في استقبال حاشد، شارك فيه العلماء والفضلاء والأهالي. ولم يمض على عودته الى بلدته ستّة أشهر حتّى توفّي والده العالم الحاجّ السيّد علي الطباطبائي، فكان ذلك سبباً لحزنه وألمه.

ورغم أنّه وعد أُستاذه في النجف بالعودة إلى هناك لينهض بما عليه من مهمّة تاريخيّة في ازدهار ورفعة ذلك المنتدى العلمي ـ وهو ما تكشّف لاحقاً من خلال

---

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و ٤٤ / صفحة: ٣١٢.

(٢) المصدر السابق: ٣١٥.

والفصول هو كتاب من تأليف الشيخ محمّد حسن بن عبدالرحيم الطهراني الأصفهاني، اهتمّ فيه بنقد آراء الميرزا القمّي صاحب كتاب «القوانين المحكمة في الأُصول».

متابعة أُستاذه الآخوند الخراساني لهذا الموضوع من طريق مكاتباته ـ بيد أنّ وفاة أبيه قد غيّرت مسار حياته ودفعته إلى البقاء في وطنه. وبعد مدّة ضاعفت وفاة الآخوند الخراساني في عام ١٣٢٩ هـ ما كان قد نزل به من حزن على وفاة والده؛ إذ فقد بوفاته أباً ثانياً، حيث كان يقول لأصدقائه مرّات عديدة: «إنّ وفاة أبويّ واحداً بعد واحد قد أضناني وأحزنني وغيّر أحوالي»(١).

طال مكوث الامام البروجردي هذه المرّة في مدينة بروجرد مدّة تناهز الثلاثين سنة، وكان خلال هذه المدّة منكبّاً على الدراسة، والتأليف، وتدريس الفقه والأُصول، وإعداد شخصيات بارزة في الحوزة العلميّة(*).

---

(١) زندگاني (سيرة) البروجردي الامام.

(*) إنّ وفاة ابنة السيّد وهي في ريعان شبابها والآلام النفسيّة التي كان يعانيها أجبرته على السفر إلى مدينة مشهد المقدّسة عام ١٣٤٠ هـ والإقامة فيها لبضع شهور، فلقي اهتماماً وعناية من لدن علماء المدينة وطلّابها، واستطاع أن يشكّل حلقة للتدريس، وأنس بكبار المدينة ووجهائها، ومنهم العارف المشهور الشيخ حسن علي الأصفهاني.

نقل لي والدي: أنّ السيّد كان يؤم المصلّين في مسجد (گوهرشاد)، وكلّ من كان لا يأتمّ بأحد في الجماعة بعد المجتهد الشهير الشيخ محمّد تقي البجنوردي كان يحضر الصلاة خلفه. وكان يرتقي المنبر للوعظ بعد الصلاة، فكنت أحضر مجلسه، علماً أنّي لم أر ذلك مناسباً لشأنه، فأخبرته به، لذلك ترك المنبر.

ونتيجة لإصرار أهالي بروجرد، وتوالي الرسائل والبرقيات منهم، ومجيء عدد من كبارهم إليه، غادر مشهد آخر الأمر بالرغم من إصرار علماء مشهد عليه أن يبقى عندهم. وفي طريقه إلى بروجرد مرّ بمدينة قم، فاحتفى به علماؤها، ومنهم المرجع الكبير آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسّس الحوزة العلميّة في قم، واستقبلته الحوزة ـ والتي كان عدد طلّابها حينئذٍ زهاء الألفين ـ بحفاوة بالغة.

وبناءً على إصرار طلّابها بدأ التدريس فيها. بيد أنّ الرسائل والبرقيات انهمرت عليه ثانية من بروجرد يطلبون منه العودة إلى بروجرد، فاضطرّ إلى ذلك وسط تأثّر بالغ أبداه الطلّاب ←

ومعظم آثاره المدوّنة تتركّز في ما قدّمه من رؤى جديدة في الفقه، والأُصول، والحديث، والرجال، وهو ما سنشير إليه في قسم مؤلّفاته، وهذه المؤلّفات هي حصيلة عهد إقامته في بروجرد.

وكان المكان الذي يدرّس فيه هناك هو مسجد السيّد جواد، ومدرسة نور بخش، وغالباً ما كان يدرّس في داره، حيث نشأ وتعلّم في مجلس درسه كثير من الطلبة الأفاضل[1].

ونورد في ما يلي أسماء عدد منهم:

حضرات الآيات وحجج الإسلام:

١ ـ الشيخ محمّد إبراهيم المدّرسي.

٢ ـ الشيخ حسن كمرئي خاتمي البروجردي.

← في قم بسبب رحيله عنهم.

لقد استغرق سفره هذا ما يربو على السنة والنصف. فعاد إلى بروجرد، واستقبله أهاليها استقبالاً رائعاً. ثمّ أقام فيها حتّى سنة ١٣٤٥ هـ، حيث عزم على أداء فريضة الحجّ في هذه السنة، فمرّ بأرض العراق، وأقام في النجف ثلاثة أشهر، حيث استعاد ذكريات أيّامه الماضية فيها. ورحّب علماء النجف بقدومه، ومنهم المراجع والمدرّسين الكبار، مثل: الميرزا محمّد حسين النائيني، والسيّد أبي الحسن الأُصفهاني، والشيخ آغا ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد حسين الأُصفهاني، وأمثالهم. وأصبحت داره مركزاً لتجمّع العلماء والطلّاب.

وكان آية الله السيّد أبو الحسن الأُصفهاني يذهب إلى داره بعد صلاة العشاء غالباً ليأنس بقربه.

وبعد مائة يوم مرّت على مكوثه في النجف غادرها متوجّهاً إلى حجّ بيت الله الحرام. وعند عودته من الحجّ تشرّف بزيارة الإمامين الكاظمين عليهما السلام، وهناك بلغه نبأ ميلاد ابنه الأكبر السيّد محمّد حسن الذي كان ينتظره بفارغ الصبر، فسرّ به كثيراً. (حياة الإمام البروجردي: ٥٠ ـ ٥١).

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ١٠٢.

٣ ـ الشيخ محمّد رضا خاتمي البروجردي.
٤ ـ الشيخ علي تألّهي الخرّم آبادي.
٥ ـ السيّد إسماعيل الگلبايگاني البروجردي.
٦ ـ السيّد أبو المجد الطباطبائي.
٧ ـ الشيخ إسماعيل عقدائي البروجردي.
٨ ـ الشيخ محمود جبرائيل.
٩ ـ الميرزا محمود رازيني.
١٠ ـ الشيخ فخر الدين محسني الجنّاتي.
١١ ـ السيّد محسن شريعتمداري.
١٢ ـ السيّد أبو الحسن القدغوني.
١٣ ـ السيّد أبو الفضل المجاهدي.
١٤ ـ الميرزا أبو القاسم محقّق رازاني.
١٥ ـ الشيخ حسين البروجردي.
١٦ ـ الشيخ علي أصغر الغفوري.
١٧ ـ الميرزا علي محمّد المروّج.
١٨ ـ السيّد فخر الدين الطباطبائي.
١٩ ـ الشيخ محمّد علي الحجّتي.
٢٠ ـ الشيخ بهاء الدين الحجّتي.
٢١ ـ الشيخ حسن إمام الجمعة.
٢٢ ـ السيّد جلال الدين العلوي الطباطبائي(١).

---

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و ٤٤ / صفحة: ٣١٨ ـ ٣٢٠.

اجتذب وجود هذا العالم المجدّ المتعطّشين للعلم والمعرفة من مدن كثيرة في إيران، مثل: قم، وكاشان، وأصفهان، وخوزستان، حيث اجتذب كلّ هؤلاء إلى مدينة بروجرد، حتّى أوشكت هذه المدينة أن تغدو موئلاً للعلم والمعرفة.

بالإضافة إلى ذلك كان سماحة الامام البروجردي هو المرجع الديني والاجتماعي للأهالي في تلك المدينة والمدن الأُخرى المجاورة لها. فكان يقيم صلاتي الظهر والعصر جماعة في مسجد (ناسك الدين) وصلاتي المغرب والعشاء في مسجد (الحاجّ آقا مهدي). وفي شهر رمضان من كلّ سنة كان يرتقي المنبر، ويلقي على أسماع الناس مواعظ بليغة، يدعوهم فيها إلى التمسّك بـ الدين والإيمان والإخلاص(١).

وفي عام ١٣٤٤ هـ توجّه من طريق العتبات المقدّسة إلى زيارة بيت الله الحرام. وفي عام ١٣٤٥ هـ غادر مدينته متوجّهاً إلى الكاظميّة وسامرّاء. وبعد زيارة أضرحة الأئمّة المعصومين عليهم السلام في تينك المدينتين عاد إلى إيران عن طريق البصرة. وقد صادفت في تلك الفترة أحداث الحركات الجهادية لكلّ من الحاجّ آقا نور الله والنجفي من علماء أصفهان ضدّ الحكام المستبدّين آنذاك، وأثناء عودة الامام البروجردي اعتقل على طريق (قصر شيرين)(*) بسبب علاقته بتلك

---

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ١٠٢ ـ ١٠٣.

(*) **حادثة الاعتقال:**

أعود هنا إلى الحديث عن قصّة اعتقال الامام البروجردي:

عندما كنت مقيماً في قم سمعت أشخاصاً مطّلعين منهم الأُستاذ الشهيد مطهّري أنّ اجتماعاً خاصّاً وسرّياً للغاية عقد في منزل آية الله الميرزا النائيني، حضره هو نفسه، وكذلك حضره السيّد الأصفهاني، والسيّد البروجردي، والشيخ أحمد الشاهرودي أحد العلماء البارزين المتنوّرين حينئذٍ المقيم ببلدة شاهرود، ورجل آخر. دار الحديث عن ممارسات رضا خان

←

. . . .

← المخالفة للشرع المقدّس، وكيفيّة مواجهته، وكلّ شخص طرح رأيه. فقال السيّد أبو الحسن الأصفهاني: «يجب أن نحرّض العشائر ضدّه، ونقضي على حكومته المخزية». فخالفه المرحوم النائيني قائلاً: «يجب أن نستعطفه، ونردعه عن أعماله المعاديّة للإسلام باللين والمرونة».

وأضيف هنا: أنّه ربّما ـ بعد طرح هذا الرأي ـ أخرج المرحوم النائيني صورة الإمام علي عليه السلام من الخزانة العلويّة، وأرسلها إلى رضا خان. وخلال مراسيم رائعة أدخلوا هذه الصورة إلى طهران، علماً بأنّها اعتبرت تأييداً ودعماً من علماء النجف للنظام البهلوي آنذاك. فاتّخذ منها رضا خان ذريعةً لتوطيد أركان حكومته في تلك الفترة العصبيّة من الممارسات المعادية للإسلام.

لقد تمّ اعتقال سيّدنا البروجردي والشيخ أحمد الشاهرودي عند الحدود الإيرانيّة ـ العراقيّة، وأرسلا إلى سجن طهران على الفور. ولا أعلم ما جرى على الشاهرودي، وأمّا سيّدنا البروجردي فيذكر هذا القائل: أنّ رضا خان عندما عاد من لرستان وبروجرد، استدعى السيّد واستقبله في حديقة البلاط. وبمجرّد أن وقعت عينه على السيّد، قال: «إنّ الميرزا النائيني إنسان متعقّل».

من هذا يتّضح أنّه كان على علم بجميع وقائع ذلك الاجتماع وما جرى فيه من حديث. ولا ندري من الذي أطلعه على ذلك.

بعد ذلك استفسر من آية الله البروجردي فيما إذا كانت عنده حاجة، فقال له السيّد: «رأيت في المعسكر أنّ الجنود يأكلون الرز مرّة واحدة في الأسبوع، وهؤلاء هم جنود الإسلام، لذلك أرتأي أن تصدروا أوامركم بتوزيع الرز مرّتين في الأسبوع». فاستحسن رضا خان هذا الاقتراح كثيراً. وأخيراً رخّص بعودة السيّد إلى بروجرد.

وهناك رواية أخرى لهذا الحادث، حدّثني بها حجّة الإسلام السيّد محمّد صادق الطباطبائي نجل سيّدنا البروجردي، نقلاً عن آية الله السيّد محمّد باقر السلطاني ـ وكان شاهداً لمجيء رضا خان إلى جامع بروجرد وهو صبي مراهق ـ وهي: أنّ السادة الطباطبائيّين لمّا سمعوا باعتقال السيّد اجتمعوا في بيت كبير الطائفة يوم ذاك حجّة الإسلام آقا عبدالحسين ابن العالم الكبير الحاجّ آقا محمود صاحب كتاب «المواهب»، وكان له منزلة كبيرة عند الناس وعند الحكومة، وكانت له لقاءات مع الشاه، والتمسوا منه أن يشفع عند الشاه ليطلق سراحه.

←

....

→ واتّفق في تلك الأيّام قتل الفريق عبدالله الطهماسبي وزير الفوائد العامّة بين بروجرد وخرّم آباد، بدلاً من رضا خان خطأ، فأقاموا له مجلس عزاء في جامع بروجرد، وحضر الشاه المجلس، وجلس قرب آقا عبدالحسين، حيث اجتمع حوله أعضاء الأُسرة، فسأله الشاه: «من هو السيّد حسين عندكم»؟ قال: «لا أعرف رجلاً بهذا الاسم». وكرّر السؤال، فأجابه بنفس الجواب، إلى أن قال: «الذي عندنا آية الله السيّد حسين، وهو الآن في العتبات راجعاً من حجّ بيت الله، وهو رجل يمارس طول أوقاته بالعلم والتدريس والتأليف والمطالعة، وحتّى لا يتّصل بأعضاء الأُسرة إلّا في السنة مرّة واحدة أيّام العيد». قال الشاه: «فما هذه الأخبار التي بلغتني عنه»؟ فقال السيّد: «أُقسم برأسك أنّها كذب»، وقال له: «إنّ السيّد عازم على زيارة مشهد والتوطّن هناك، وأنتم ينبغي أن تطلبوا منه الرجوع إلى بروجرد».

وهذا الكلام من السيّد صدر لإزالة ما علق بذهن الشاه من أنّ سيّدنا البروجردي كان بصدد إثارة الناس ضدّه، إلى آخر القصة، حسب ما مرّت بنا.

وأضاف: أنّ الشاه قال له حين اللقاء: «إنّ السادة الطباطبائيّين طلبوا منّي أن أُرجعك إلى بروجرد»، فاعتذر السيّد بأنّه نذر زيارة الإمام الرضا، وبعد الزيارة سوف يرجع إلى بروجرد. فغادر طهران متوجّهاً إلى خراسان وفاءً بالنذر، وهذه هي السفرة الثانية له إلى مشهد، وقد تحدّثنا عن سفرته الأُولى آنفاً.

ثمّ ـ بعد ذلك ـ وقفت على شرح القصّة في مقابلة لمجلّة «الحوزة» لآية الله السلطاني في العدد (٣٣ ـ ٣٤) الخاصّ بذكرى سيّدنا البروجردي، وفيها ذكريات كثيرة نقلاً عن جماعة من أبناء الأُسرة ومن خاصّة سيّدنا الأُستاذ وتلامذته، عدا ما أوردته أنا في هذا التصدير، ومنها ذكريات منّي حول الأُستاذ، فليلاحظ.

سيّدنا الأُستاذ بعد رضا خان:

من الأحداث التي وقعت في تلك الفترة أنّ آية الله الحاجّ آقا حسين القمّي الذي كان قد ذهب أو أُبعد إلى العراق بسبب نضاله ضدّ رضا خان عقب حادثة مسجد «گوهرشاد» الدمويّة، عاد إلى إيران، وبعد زيارة قام بها إلى مشهد حطّ رحاله في طهران. فقدّم مطالب مشروعة إلى الحكومة تقضي بإنهاء الممارسات المشؤومة لرضا خان. وكانت تلك المطالب بحاجة إلى دعم علماء المدن وتأييدهم، وأنا رأيت بنفسي في مشهد كيف تجمّع العلماء ←

الحركات، وأُرسل مخفوراً إلى طهران، وخضع هناك للتحقيق والاستجواب، وأدّى به ذلك إلى الإقامة في طهران مائة يوم. وبعد رفع الحظر عنه توجّه إلى مشهد المقدّسة لزيارة ضريح الإمام الرضا عليه السلام. وبعد الإقامة ثلاثة عشر يوماً إلى جوار ضريح الإمام الثامن، لبث حيناً آخر إلى جوار ضريح السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام في قم، ثمّ عاد إلى بلدته واستُقبل هناك بحفاوة من قبل أهالي بروجرد، وبقي مقيماً في تلك المدينة حتّى عام ١٣٦٣ هـ حيث غدا له حضور نافذ هناك(١).

خلال تلك المدّة كان يقوم بأعماله ونشاطاته الحوزويّة العاديّة، وإضافة

← والطلّاب في مدرسة «سليمان خان» لإرسال برقيّة دعم إلى آية الله القمّي، وبرقيّة شجب واستنكار إلى الحكومة، وكان على رأس مطالب السيّد القمّي: حرّيّة الحجاب، وتدريس القرآن وعلوم الدين في المدارس، وصرف الأوقاف في محالها.

بيد أنّ الحكومة كانت تكابر بعدم الرضوخ لتلك المطالب، ممّا أثار موجة من الاستياء في الحوزات والأوساط العلميّة والدينيّة، فانهالت برقيات الدعم والتأييد من كلّ حدب وصوب على آية الله القمّي في طهران.

وتوجّه عدد من علماء طهران المحترمين إلى بروجرد لطلب النجدة من آية الله البروجردي، فأجابهم بعد تشاوره مع كبار أفراد الأُسرة الطباطبائيّة والعلماء، ووجّه تحذيره إلى رئيس الوزراء آنذاك في برقيّة أرسلها إليه، وهدّده بالتحرّك نحو طهران فيما إذا لم يستجب لمطالب آية الله القمّي، وحمّل الحكومة تبعة ما تؤول إليه الأوضاع من خطورة بالغة، وأرسلت العشائر برقيات مماثلة. فاضطرّت الحكومة إلى الاستجابة لمطالب آية الله القمّي.

بعد ذلك عاد السيّد القمّي إلى العتبات المقدّسة، فالتقى آية الله البروجردي في مدينة ملاير وهو في طريقه إلى مقصده. وهذا آخر لقاء بين ذينك المرجعين والزعيمين الدينيين المعاصرين، اسم كلّ منهما «الحاجّ آقا حسين»، أحدهما القمّي، والآخر البروجردي. (حياة الإمام البروجردي: ٥٣ ـ ٥٧).

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ١٠٤، مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و ٤٤ / صفحة: ٣٢٣ ـ ٣٢٧.

إلى ذلك خلّف وراءه آثاراً عمرانيّة وإنجازات أُخرى، من قبيل: تأسيس وإعادة بناء المساجد، والمدارس، والحسينيات، وما شابه ذلك[١].

مرجعيته المطلقة في قم

في عام ١٣٦٤هـ غادر الامام البروجردي مدينة بروجرد متوجّهاً إلى طهران؛ للمعالجة من مرض ألمّ به، وأُخضع هناك لعمليّتين جراحيّتين في مستشفى الفيروز آبادي(*)، وقد سارعت حشود من العلماء الأعلام من قم وطهران وغيرهما لعيادته هناك(**).

وفي تلك الأثناء اغتنم هذه الفرصة عدد من مشاهير فقهاء الحوزة العلميّة

---

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ٢٢٥ و٢٣٨.

(*) كان مرض السيّد هو فتق الأربيّة، واستمرّت إقامته في المستشفى لمدّة سبعين يوماً. (حياة الإمام البروجردي: ٥٧).

(**) وعندما كان السيّد راقداً في المستشفى زاره الشاه محمّد رضا، فاكتسب شعبيّة في بداية حكمه، وأراد أن يعزّز موقعه لمواجهة الأوضاع المتدهورة في البلاد، حيث كانت إيران محتلّة من قبل قوّات الحلفاء، وكانت هناك ضجّة حزب (توده) الشيوعي والأحزاب الأُخرى، واغتنم الامام البروجردي هذه الفرصة، فتحدّث مع الشاه حول بعض المسائل والقضايا الداخليّة المهمّة، منها: قضيّة الصحافة، حيث كانت الصحف تتهجّم على المقدّسات بكلّ صلافة ووقاحة. وقدّم توجيهاته القيّمة في هذا المجال، فقال: «نظراً لما جرى من غفلة وتساهل في الماضي، لذلك يجب الاهتمام بالمعنويات والشؤون الدينيّة، ولا سيّما بين الشباب».

علماً بأنّ هذا اللقاء كان أوّل لقاء بين الشاه الشابّ آنذاك وبين الامام البروجردي. أعقبته لقاءات أُخرى في قم، كان السيّد الأُستاذ ينبّهه فيها على بعض المطالب الضروريّة.

بيد أنّ هذه المطالب لم تلق أُذناً صاغية، إلى أن حدث ما قد حدث.

ولو كان الشاه قد سمع تلك التذكيرات وعمل بها لما غرق في الوحل إلى تلك الدرجة التي تقوّضت فيها أركان حكومته وملكه. (حياة الإمام البروجردي: ٥٨).

في قم، وكان على رأسهم الحاجّ روح الله الخميني، ودعوا الامام البروجردي للإقامة في قم والنهوض بأمر مرجعيّة العالم الشيعي وزعامة الحوزة العلميّة في تلك المدينة[1](*).

(١) زندگاني (حياة) الامام البروجردي: ٥٣.

(*) لقد كانت الحوزة العلميّة في قم تدار من قبل: السيّد صدر الدين الصدر، والسيّد محمّد حجّت، والسيّد محمّد تقي الخوانساري. ولكلٍّ من هؤلاء مواصفات خاصّة. اضطلعوا بأعباء تلك الحوزة المهمّة والفتيّة فيما بينهم بكلّ حزم وحكمة وتدبير، وتولّوا شؤونها طيلة عشر سنوات، اعتباراً من سنة ١٣٥٥ هـ (سنة وفاة آية الله المؤسّس الحائري)، حتّى ما يقارب سنة ١٣٦٤ هـ، وقد ذاقوا الأمرّين في تلك الفترة المظلمة من حكم رضا خان الأسود.

لقد كانت الحوزة العلميّة في قم حوزة كبيرة يدرس فيها آلاف الطلّاب. وكان يزداد عددهم باستمرار بسبب الاتّجاه الديني لدى الناس والحرّيّة النسبيّة بعد هروب رضا خان. وعاد إليها بعض الطلّاب الذين كانوا قد تفرّقوا بين مختلف القرى والمدن بسبب الإرهاب الذي كان يسود الأجواء.

وكانت هذه الحالة نفسها موجودة في حوزة مشهد مع فرق، حيث إنّ هذه الحوزة قد أفل نجمها تماماً بعد كارثة مسجد «گوهرشاد»، ولم يبق فيها إلّا عدد قليل من الطلّاب، حيث أُبعد عامّة العلماء والمدرّسين، أو أنّهم عادوا إلى مدنهم، فلم يبق إلّا عدد أصابع اليد من الطلّاب القدماء. وتعطّلت المدارس العلميّة غالباً، وكانت تسير نحو الدمار، لولا أنّ الله فرّج عن الناس برحيل رضا خان، فافتتحت المدارس تدريجياً، واستعادت حوزة مشهد حياتها.

وقد شهدت بنفسي تلك الأوضاع، وكنت أحد الطلّاب الأُول في مشهد بعد ثلاث سنين من الدراسة في حوزة النجف، حيث أقمت فيها مع أبي الذي فرّ من يد رضا خان قاطناً العراق، ولم يزد عدد الطلّاب في حوزة مشهد حينئذٍ على سبعين طالباً.

وحتّى سنة ١٣٦٩ هـ - حيث انتقلت إلى قم - كانت الحوزة العلميّة في مشهد قد أصبحت حوزة لها شأنها وأهميتها. وذلك بفضل ما أولاه المدرّسون والعلماء، وعلى رأسهم آية الله ميرزا أحمد الكفائي الخراساني نجل الأُستاذ الأكبر الآخوند الخراساني رحمهما الله.

أمّا الحوزة العلميّة في قم فبالرغم ممّا تعرضت له من نكبات قاتلة، ونتيجة للجوّ الإرهابي

←

وبعد أن لاحظ تشبّث وإصرار أُولئك السادة نزل عند رغبتهم ووافق على طلبهم. ودخل الامام البروجردي إلى مدينة قم المقدّسة في عصر يوم الخميس ٢٦ / صفر / ١٣٦٤ هـ وسط استقبال حاشد شارك فيه المراجع والعلماء وأهالي قم، وبعد استقراره فيها شرع بتدريس مادّتي الفقه والأُصول. وكان يُلقي تلك الدروس قبل الظهر في مسجد (عشق علي)، وبعد الظهر في المدرسة الفيضيّة، وأحياناً في مسجد (بالا سر) عند الضريح الشريف للسيّدة فاطمة المعصومة، وكانت لأغلب الأفاضل والمدرّسين المشهورين ـ ومنهم: الحاجّ روح الله الخميني والسيّد محمّد المحقّق الداماد والحاجّ مرتضى الحائري ـ مشاركة فاعلة في تلك الدروس[1].

وعلى صعيد آخر تخلّى آية الله السيّد صدر الدين الصدر الذي كان من مراجع التقليد، وكان يؤم صلاة الجماعة في الصحن الكبير المجاور للضريح، تخلّى عن موضعه للامام البروجردي، وألغى برنامجه الذي يجريه إلى جانب صلاة الجماعة احتراماً له. وكذلك سلّم له المرحوم آية الله السيّد محمّد حجّت الذي كان هو الآخر من كبار مراجع قم منصّة تدريسه. وكذلك بادر المرحوم آية الله السيّد محمّد تقي الخوانساري الذي كان من تلامذه في النجف إلى المشاركة

→ السائد الذي حدا بعدد كبير من الطلّاب إلى ترك الحوزة، ومزاولة العمل الإداري، أو العمل التجاري الحرّ، أو أنّهم عادوا إلى مدنهم، بالرغم من ذلك كلّه، ظلّت الحوزة محتفظة بهويتها بفضل الدور المشرّف الذي أدّاه أُولئك المراجع الثلاثة وغيرهم من المدرّسين الكبار، مثل: الإمام الخميني، وآية الله السيّد محمّد الداماد، وآية الله الگلبايگاني، وآخرين غيرهم. فدور هؤلاء العلماء في المحافظة على الحوزة وصيانتها في تلك الفترة العصيبة يستحقّ الثناء والتقدير. (حياة الإمام البروجردي: ٥٨ ـ ٦٠).

(١) ألگوي زعامت (قدوة القادة): ٤٤، مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العدد: ٢٣ / صفحة: ٤٢.

في حلقة درسه تعبيراً عن احترامه له، وعمل على كافّة الأصعدة في تدعيم زعامة ومرجعيّة الامام البروجردي(١)(*).

---

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ١١٩ ـ ١٢٠.

(*) وفي سنة ١٣٦٥ هـ سافر السيّد إلى مشهد في الصيف هرباً من جوّ قم القائظ، فاستقبله أهالي المدينة ـ ولا سيّما العلماء والطلّاب ـ استقبالاً حارّاً. وشاركت أنا شخصياً في المراسم وأنا طالب يافع في المرحلة الوسطى من الدراسة الحوزويّة، فذهبت مع المستقبلين مسافة ثلاثة فراسخ عن المدينة حتى مقام «الخواجة أبي الصلت»، ورأيت بنفسي كيف أنّ العلماء من الطراز الأوّل في مشهد كانوا يكنّون له عظيم الاحترام والتقدير، مثل: المرجع الكبير آية الله السيّد يونس الأردبيلي، وآية الله الكفائي، وغيرهما.

أقام السيّد في بيت موقّر لتاجر يدعى: «كوزه كناني»، وكنت أزوره في الزائرين في ذلك البيت باستمرار، وكان معه عدد من مدرّسي الحوزة العلميّة في قم، ومنهم: آية الله الداماد، وآية الله الشيخ مرتضى الحائري.

قضى السيّد ثلاثة أشهر في مشهد، هي: رجب، وشعبان، ورمضان، وكان يقيم صلاة المغرب والعشاء جماعة قبل شهر رمضان في مقصورة مسجد «گوهرشاد»، أمّا صلاة الظهر والعصر في شهر رمضان فكان يقيمها في رواق المرحوم آية الله النهاوندي.

وكانت صلاة الجماعة ليس لها مثيل، حيث كان يشترك فيها الشيخ النهاوندي نفسه مع كبر سنه، والعلماء من الطراز الأوّل في مشهد، وأئمّة الجماعة في أحياء المدينة، وعدد كبير من علماء المدن، ومدرّسي الحوزة العلميّة في قم. فكان الصفّ الأوّل والثاني مخصوصاً لهؤلاء المذكورين، وصلاة بهذه المواصفات لم يكن لها مثيل.

وأقام في نفس ذلك المكان صلاة العيد (عيد الفطر)، وارتقى المنبر لإلقاء خطبة الصلاة. بيد أنّ صوته كان لا يتجاوز الجالسين قريباً من المنبر، ووقعت حادثة لمعارضته في المكان الذي يصلّي فيه، أتجنّب ذكرها هنا.

قيل: بأنّ ذلك الاحترام الفائق الذي أبداه المرحوم النهاوندي للسيّد، مع زهده ومنزلته المرموقة، أفضى إلى أنّه عندما تشرّف بزيارة العتبات المقدّسة في العراق، تواضع له المرجع الكبير آية الله العظمى السيّد أبو الحسن الأصفهاني، فأخلى له مكان صلاته في صحن الإمام علي عليه السلام.

وقيل للمرحوم النهاوندي في عالم الخلسة ـ وهو جالس على سجادته في الصحن ـ: ←

. . . .

→ «احترمت ولدنا فاحترمناك». وعندما عاد إلى إيران نقل هذه الحادثة العجيبة إلى الامام البروجردي في قم.

ذكرياتي الخاصّة بهذه السفرة:

أحتفظ بذكريات كثيرة حول هذه السفرة، وذلك لملازمتي المستمرّة للامام البروجردي، وحبّ الاستطلاع الذي أحمله بين جوانحي.

إنّ إحدى هذه الذكريات تتعلّق بعمل علمي وثقافي محمود يخصّ فهرس المكتبة المركزيّة للآستانة الرضويّة المقدّسة، إذ كان القائمون على هذا العمل قد أعدّوا ثلاثة أجزاء من الفهرس للمكتبة، في حين ظلّ القسم الأعظم من المخطوطات دون فهرسة. وبعد زيارة قام بها الامام البروجردي للمكتبة أصدر أوامره لنائب متولّي الآستانة الرضويّة المقدّسة آنذاك لإنجاز ذلك المشروع الكبير وإعداد فهرس تامّ للمكتبة بأسرع وقت، وأكدّ عليه أن يرى نموذجاً منه وهو لا يزال في مشهد. وظل يتابع هذا المشروع بصورة منتظمة عدّة سنين.

ذهبت إلى قم سنة ١٣٦٩ هـ لمواصلة الدرس، وكنت أتردّد على مشهد في فصل الصيف. وفي إحدى سفراتي بشّرني العاملون في المكتبة بطبع الجزء الخامس من الفهرس، فأخبرت الامام البروجردي بذلك في قم (لا زال العمل بهذا المشروع قائماً، وبلغ عدد الأجزاء أكثر من عشرة. ولابدّ أن نعدّ هذا المشروع من ذكريات ذلك الرجل العظيم وبركاته). وعندما أخبرته، قلت: الجزء الخامس، فقال: الجزء الرابع، وهكذا تبادلنا الحديث حول هذا الموضوع، فاتّضح لي أنّه كان يواكب العمل بدقّة، ويضبط تعداد الأجزاء.

ظفر السيّد في سفرته هذه بنسخة من كتاب «الرجال» للشيخ الطوسي، كانت موجودة في مكتبة الآستانة. وكان ـ قبل ذلك ـ يفيد من «رجال المامقاني» في أعماله العلميّة والرجاليّة، فجعل منقولات المامقاني في مجموعة واحدة، فهيّأ لنفسه «رجال الشيخ الطوسي». بعد ذلك طابق كتابه مع تلك النسخة، فتطابق معها إلّا في بعض المواضع.

هذا نموذج من جهوده المضنيّة في طلب العلم، ولا سيّما علم الرجال الذي كان صاحب مدرسة فيه، وسأتعرّض إلى ذلك لاحقاً.

ومن ذكريات تلك الفترة أنّه تشرّف لدى وروده مشهد بزيارة الحرم الرضوي الشريف بمعيّة عدد من العلماء والمستقبلين، فشاهد أحد الزوّار يقبّل عتبة الروضة الرضويّة المقدّسة، فامتعض من هذا العمل احتجاجاً «بأنّه يصبح ذريعة بيد الآخرين لاتّهامنا بأنّنا نعبد الإمام ←

. . . .

→ ونسجد له، ونحن بالفعل متّهمون بذلك، مع أنّا لا نقوم بهذه الأعمال، فكيف إذا قمنا بها وشاهدها الآخرون. إذن لا نستطيع أن نبرّى أنفسنا مهما أتينا بالدليل». فرحّب المتديّنون الواعون المنفتحون بكلامه هذا، في حين لم يستسغه المتنسّكون التقليديّون.
بيد أنّه على كلّ أصبح منطلقاً فكرياً للعلماء، وشاع خبره في كلّ مكان.
ثمّة شيء آخر مماثل لذلك حدث في ذكرى ميلاد الإمام الحسين عليه السلام، حيث أقامت الهيئات الدينيّة للإمام الحسين عليه السلام ـ وكانت ذات نظام خاصّ في مشهد لا يوجد في غيره ـ مجلساً فخماً في بيت كبير كان سابقاً لنائب متولّي الآستانة الواقع في محلّة «چهار باغ» الذي تحوّل إلى حسينيّة باسم (حسينيّة الرضويّين) حالياً. أقامت الهيئات ذلك المجلس بشكل جماعي؛ لكي يقوم السيّد بزيارتها ويطّلع على أعمالها ونشاطاتها. وكان العلماء الكبار وجمع من الطلّاب والفضلاء والوعّاظ حاضرين في ذلك المجلس، فارتقى أحد الوعّاظ المنبر، وتطرّق إلى ذكر مناقب الإمام الحسين عليه السلام، وممّا قاله: «إنّ قماط الإمام رفع إلى العرش، فوضع الله يده على رأسه».
كنت جالساً إلى أحد الجدران على بعد أمتار عن الامام البروجردي، وهو كان جالساً إلى جدار آخر، فسمعت همسات من الجالسين حوله. وبعد لحظات قام المرحوم آية الله الميرزا علي أكبر النوقاني صاحب كتاب «ثلاث مقالات»، وكان من العلماء البارزين المتكلّمين، وكثير الملازمة للسيّد الأُستاذ في تلك السفرة، قام وخاطب المتحدّث الذي كان يدعى: «مدقّق» قائلاً: «سماحة الامام البروجردي يقول: ليس لله يد، فوضّح للناس أنّ المقصود من اليد هنا هو الرحمة والعناية الإلهيّة الخاصّة»، فلم يخجل المتحدّث، وتفاعل مع الموقف قائلاً: «يا سلام! لقد استفدنا، يقول سماحة السيّد: ليس لله يد، والمقصود هو العناية الإلهيّة بالإمام الحسين عليه السلام».
فمثل هذه اللفتات وردود الفعل تعكس حسن المتابعة والاستطلاع، والنظرة الواقعيّة، والصراحة التامّة، وروح الدعوة إلى الإصلاح، التي كان عليها الامام البروجردي، بالرغم من أنّ المتحجّرين لا يستسيغون ذلك.
ذكرى أُخرى: في عصر يوم من الأيّام أقام عدد من المدرّسين والطلّاب مجلساً في مدرسة «سليمان خان» التي كانت مركز الحوزة تقريباً، وكانت تحت إشراف زعيم الحوزة آنذاك المرحوم آية الله الميرزا أحمد الكفائي الخراساني نجل الآخوند الخراساني. أقاموا ذلك
←

....

← المجلس تكريماً للامام البروجردي حيث يأتي لزيارتهم، وحضره العلماء البارزون في المدينة، وعدد كبير من طلّاب مشهد، وجمع من فضلاء قم والمدن الأُخرى.
كنت حينئذٍ طالباً يافعاً، ناعم العود، مشغولاً في دراسة «الكفاية»، بينما كنت جالساً هناك فوجئت بالمرحوم الشيخ حسين البجستاني مساعد آية الله الكفائي في إدارة شؤون الحوزة، وقد أخذ بيدي منطلقاً بي صوب سماحة السيّد الكبير قائلاً له: «هذا الطالب ابن الشيخ مهدي الواعظ، وأحد طلّاب المدرسة. نرجو من سماحتكم أن تسألوه». بعد ذلك جلست أمام السيّد، وكان يجلس حواليه عدد من مدرّسي مشهد وقم، منهم: أُستاذنا في درس «الكفاية» المرحوم آية الله الشيخ هاشم القزويني، وكان أُستاذاً حاذقاً فصيح البيان ذا فكر نيّر.
سألني الامام البروجردي: ما تدرس؟ قلت: الكفاية. قال: أيّ مبحث؟ قلت: مبحث النواهي. قال: عرّف النهي. قلت: العلماء عادةً يقولون: بأنّ النهي هو طلب ترك الفعل، بيد أنّ أُستاذنا سماحة الشيخ هاشم القزويني يقول: الصواب هو أنّ النهي ليس طلباً بل زجراً وردعاً عن الفعل. فهو يقابل الأمر تماماً. لمّا بلغت هذه النقطة ارتفعت الأصوات والهمسات من المحيطين به. فظهر لي فيما بعد أنّ رأيه يطابق رأي أُستاذنا القزويني، وكان قد طرحه في دروسه. بعد مضي لحظات كان يتباحث فيها الجالسون، وأنا كنت جالساً أمام السيّد العظيم مصغياً لهم سمعي، قال لي: حسناً، تفضّل. فقمت وعدت إلى مكاني.
ومن ذكرياتي الأخرى في هذه السفرة: زيارة قام بها الامام البروجردي لوالدي المرحوم الشيخ مهدي الواعظ الخراساني في ليلة من ليالي شهر رمضان. وكان والدي قد أخبر المرحوم آية الله السيّد يونس الأُردبيلي سلفاً بهذه الزيارة. فلا أنسى تلك الليلة، حيث جلس المرجعان الكبيران جنباً إلى جنب وسط فناء دارنا والجوّ حار. كان المرحوم الأُردبيلي ينقل كرامة بلهجته التركيّة، والسيّد يصغي إليه. بعد ذلك قاما وذهبا من بيتنا إلى الشارع ماشيين، ومعهما أحد الخدم يحمل «لكساً» للإضاءة، واصطحبتهما لأخذ اللكس. وقال له بعض من معه: «نجل الشيخ الواعظ يسير خلفنا»، فالتفت السيّد وطلب منّي الرجوع. فوقفت قليلاً حتّى ذهبا. بعد ذلك أخذت اللكس ورجعت إلى البيت.
ذكرى أُخرى: ذهب السيّد ذات يوم لزيارة المرحوم آية الله الشيخ محمّد رضا الكلباسي أحد علماء مشهد ومن زملاء الامام البروجردي في أصفهان. كان يقول ـ كما مرّ بنا ـ أنا
←

ومن ناحية أُخرى، وبعد مرور سنة واحدة ـ أيّ: في شهر ذي الحجّة من عام ١٣٦٥هـ ـ توفّي آية الله العظمى السيّد أبو الحسن الأصفهاني(١) الذي كان من مراجع التقليد الكبار في النجف، وهذا ما حدا بعلماء النجف ومقلّديهم وتبعاً لهم جميع الشيعة في العالم إلى التوجّه إلى الامام البروجردي، وهكذا تحقّقت له المرجعيّة المطلقة خلال مدّة وجيزة(*).

→ دعوته إلى درس الفلسفة، وكان يشكرني حتّى آخر حياته. وكنت جالساً في غرفة أُخرى، فلم أر السيّد، بيد أنّي كنت أسمع حديثه، إذ كان يقول: «لقد ألّف الشيخ الطوسي كلّ كتاب من كتبه الفقهيّة لهدف خاصّ، فألّف «النهاية» للوسط الشيعي، أمّا «الخلاف» و«المبسوط» فقد ألّفهما للوسط الإسلامي العامّ». وكان يشرح هذا الموضوع. وشهدته مراراً ـ بعد حضوري درسه في قم ـ يثني على الشيخ الطوسي، ويعبّر عن ودّه للشيخ واهتمامه بشخصيته.

لم أعهد من ذي قبل أنّ طالباً يافعاً مثلي يألف هذا اللون من التبحّر العلمي والفكر الإصلاحي الذي يدلّ على ذهنيّة وقّادة متفتّحة ومعلومات غزيرة، ومن ثمّ قد أحدث كلامه وكلام غيره من الأساتذة الكبار بقم ثورة في فكري وأفكار الطلّاب الآخرين، وهو ما سأتحدّث عنه لاحقاً.

عاد الامام البروجردي إلى قم عند انقضاء شهر رمضان بعد إقامة صيفيّة مؤقّتة قضاها في مشهد عام ١٣٦٥ هـ. (حياة الإمام البروجردي: ٦١ ـ ٦٨).

(١) أبو الحسن بن محمّد بن عبد الحميد الموسوي الأصفهاني: المرجع المعروف. ولد سنة ١٢٨٤ هـ، وحضر أبحاث: الميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ الخراساني. كان رجلاً واسع المعرفة عميق الفكر حسن التدبير. من مؤلّفاته: وسيلة النجاة، حاشية العروة الوثقى، شرح الكفاية، وعدّة رسائل عمليّة لعمل مقلّديه. توفّي سنة ١٣٦٥ هـ في الكاظميّة، فنقل جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف، ودفن في حجرة الصحن الغروي. (معارف الرجال ١: ٤٦ ـ ٤٩، معجم رجال الفكر والأدب ١: ١٢٩، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٦٢ ـ ٦٣).

(*) عرف الامام البروجردي كأحد مراجع التقليد لأتباع أهل البيت عليهم السلام وهو لا يزال في بروجرد. وكان له مقلّدون فيها، وفي غيرها من المدن. أمّا مرجعيّة الأُمّة فقد كانت للمرحوم آية الله السيّد الأصفهاني نزيل النجف، وبمستوى أقلّ للمرحوم آية الله القمّي نزيل كربلاء.
←

. . . .

← في أواخر سنة ١٣٦٥ هـ مرض السيّد الأصفهاني مرضه الأخير الذي انتشر خبره، والذي طال به حتّى فاضت روحه الطاهرة ليلة عرفة من تلك السنة في الكاظميّة. فأحدثت وفاته ضجّة، وألقى خبر الوفاة ظلّه على جميع أخبار العالم الإسلامي أيّاماً، حيث سلّطت الأضواء عليه دون غيره.

عدل معظم مقلّدي السيّد الأصفهاني إلى الامام البروجردي. أمّا آية الله القمّي فإنّه انتقل إلى النجف بعد وفاة السيّد الأصفهاني، وكان يعدّ من المراجع الكبار، بيد أنّه لم يلبث أن التحق بالسيّد الأصفهاني بعد أقلّ من ثلاثة أشهر على وفاته. وبموته انتقلت المرجعيّة العامّة إلى الامام البروجردي بالرغم من وجود مراجع آخرين في النجف الأشرف، مثل: آية الله الحكيم، وآية الله الشاهرودي، وآية الله السيّد عبد الهادي الشيرازي، وآخرين غيرهم، وكذلك وجود المراجع الثلاثة المذكورين آنفاً وغيرهم في قم، ولكلّ واحد من هؤلاء مقلّدون. أمّا شخصيّة الامام البروجردي فإنّها كانت متميّزة تماماً، لا سيّما وقد أشيع بأنّ المرحوم الأصفهاني قد أرجع احتياطاته إلى الامام البروجردي، وهذا العمل ـ وفقاً للتقاليد ـ كان يعتبر بمثابة ترشيح للمرجعيّة.

لقد كانت العلاقات التي تربط ذينك الفقيهين والمرجعين الكبيرين طيّبة وودّيّة للغاية. وذكرت سلفاً أُلفتهما عندما أقام الامام البروجردي فترة في النجف وهو في طريقه إلى حجّ بيت الله الحرام. وفي بروجرد، بالرغم من أنّه كان مرجعاً، بيد أنّه كان يدعم مرجعيّة السيّد الأصفهاني.

ووصلته ذات يوم رسالة من تبريز، طلب فيها أصحابها من الامام البروجردي رسالة عمليّة، فأجابهم بأنّ علم الإسلام اليوم بيد آية الله الأصفهاني، وما عليكم إلّا البقاء على تقليده.

ونقل لي أنّ فتاوى السيّد الأصفهاني كانت تطرح بحضوره، في خلال صلاة الجماعة، فكان يجلس ويصغي وينبّه المتحدّث أحياناً عندما ينقل الفتوى خطأً، ويقول له: «السيّد لا يقول هكذا، بل يقول هكذا» وينقل فتواه.

أقام والدي في النجف الأشرف خلال السنوات الأخيرة من الحكم الإرهابي لرضا خان وكان مستأنساً كثيراً بآية الله الأصفهاني، وطالما كانا يختليان للتحدّث فيما بينهما، وأحياناً كنت أجلس في زاوية الغرفة.

نقل والدي أنّه أخبر السيّد الأصفهاني في أحد تلك اللقاءات بخلو مشهد من المجتهدين ←

. . . .

← الكبار، وأنّ الذين فيها لا يصلحون لسبب من الأسباب لذلك، واقترح عليه أن يرسل شخصاً جديراً يسدّ ذلك الفراغ، فطلب منه السيّد أن يعرّف أحداً، فقال له والدي على سبيل المثال: «الشيخ محمّد علي الكاظمي (صاحب التقريرات)». فقال له السيّد ـ وهو يشير إلى أنّ المذكور لا يصلح أن يكون فارس الحلبة كما لا يتسنّى له أن يصمد أمام الآخرين ـ: «لو ذهب آقا حسين البروجردي إلى مشهد، فإنّ ذهابه حسن ومفيد للغاية»، (وكان الامام البروجردي في بروجرد آنذاك).

لقد تأثّر المرحوم البروجردي تأثّراً بالغاً بسبب وفاة السيّد الأصفهاني، وبكى لفقده، واجتمع عنده في الساعات الأولى من سماع الخبر علماء قم وطلّابها وعامّة الناس، وأخذوه إلى الصلاة بكلّ تكريم وتبجيل معلنين مرجعيته بهذا العمل.

وضع الحوزة العلميّة في قم آنذاك:

كانت الحوزة العلميّة حتّى ذلك الحين تعاني من التبعيّة الماليّة، حيث لم تكن مستقلّة من هذه الناحية. وقد يصادف أحياناً أن يوزّع وكيل المرحوم الأصفهاني في طهران ـ وهو العالم الوجيه «الحاجّ آقا يحيى السجّادي» ـ مبلغاً من المال بين الطلّاب. فكانت إمكانيات المراجع الثلاثة، وكذلك إمكانيات الامام البروجردي ـ قبل مرجعيته العامّة ـ محدودة، ولكن بعد ذلك تدفّقت الحقوق الشرعيّة على قم، فنعمت الحوزة بالاستقلال المالي والرفاه المادّي أكثر من ذي قبل.

كان عدد الطلّاب يتضاعف باستمرار، لا سيّما بعد شهريور عام ١٣٦١ هـ؛ إذ ولّى الظلام وأسفر الصبح وعادت للدين كرامته ومنزلته، فاستأنفت الحوزات العلميّة حياتها واتّسعت قاعدتها. وممّا آزر هذا الأمر خشية الناس من انتشار الشيوعيّة، فكان العلماء والمتديّنون من الناس يرون في دعم الحوزة وتوطيد أركانها أفضل طريق للحيلولة دون ذلك الخطر الداهم.

كان عدد الطلّاب في الحوزة حين قدم الامام البروجردي إليها ألفين تقريباً، أمّا عند وفاته فكان عددهم يناهز ستّة آلاف. وهذا مؤشّر جيّد على تقدّم الحوزة وتطوّرها كمّياً.

أمّا من حيث النوعيّة فقد تغيّر وضع الحوزة تماماً، فكان بين الطلّاب عدد كبير من المثقّفين والدارسين في المدارس الرسميّة والجامعات.

ومن العوامل التي أثّرت على تطوير الحوزة نوعياً، وأفضت إلى تعرّف الطلّاب على الثقافة ←

. . . .

← الإسلاميّة الجديدة: الظروف الزمانيّة، والأساليب الجديدة في كفاح التوجّهات العلمانيّة والشيوعيّة، والتطوّر الحاصل من جرّاء المحاضرات الدينيّة التي كان يلقيها اثنان من الوعّاظ والخطباء المشهورين، وهما: الشيخ الفلسفي، والمرحوم الشيخ راشد، وآخرون غيرهم، ومطالعة الطلّاب المجلّات والصحف والكتب الإسلاميّة الصادرة في مصر، ووجود عدد من الكتّاب البارزين بين علماء الشيعة، من أمثال: المرحوم الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء، والسيّد هبة الدين الشهرستاني، والعلّامة الأميني صاحب «الغدير»، وآخرين غيرهم في العراق. والعلّامة السيّد محسن الأمين العاملي، والعلّامة السيّد عبد الحسين شرف الدين في بلاد الشام ولبنان. وعدّة من العلماء من أصحاب الأقلام مثل المرحوم الميرزا خليل كمرهاي في إيران.

وقد لمست بنفسي تأثير هذه العوامل إبّان دراستي، أي: من سنة ١٣٥٨ هـ ق فما يليها، وكنت أحد أولئك الطلّاب الذين تأثّروا بتلك العوامل.

مضافاً إلى ذلك، فإنّ هناك عوامل أُخرى كان لها تأثير كبير على تربية الطلّاب وإعدادهم، مثل الأفكار الإصلاحيّة الوضّاءة للامام البروجردي، وغيره من العلماء والمدرّسين الكبار، من نحو: آية الله الصدر، وآية الله الخوانساري، وآية الله الكاشاني، ومن بعدهم سماحة الإمام الخميني، والمتكلّم المناضل المتنوّر المرحوم الميرزا محمّد تقي الإشراقي.

مضافاً إلى ذلك ـ كما سنذكر لاحقاً ـ تميّز الامام البروجردي بمبادئه وأُسسه الخاصّة في الأُصول والفقه وعلم الرجال، ممّا يرغم الطلّاب ـ لا محالة ـ على المطالعة والمتابعة، ومن ثمّ ليحدث تطوّراً في أفكارهم العلميّة.

وممّا أثّر على إحداث ذلك التطوّر الفكري قرب قم من طهران، وتردّد الطلّاب على العاصمة، واحتكاكهم بالمفكّرين، وأساتذة الجامعات، والسياسيّين، ورجال الحكومة، والشخصيات المطّلعة العاملة في السوق.

في ضوء ذلك كلّه، تبدلّت تلك الحوزة الجامدة الضعيفة بحوزة ناشطة فاعلة حيّة في غضون بضع سنين.

وفي أيّام محرّم وصفر والمناسبات الأُخرى كان الطلّاب الشباب، من المتنوّرين والمطّلعين على متطلّبات العصر، يتوجّهون إلى المدن الأُخرى للتبليغ. وخلال ممارستهم التبليغ كانوا يحظون بانشداد الناس إليهم وإقبالهم عليهم. وإذا ما عادوا من هذه المهمّة الكبيرة كانوا ←

. . . .

← يحملون معهم ثناء الناس وشكرهم وتقديرهم. وبعد عودتهم تنهال رسائل وبرقيات الثناء والتقدير من شتّى أنحاء البلاد على الامام البروجردي والعلماء الآخرين، ممّا يبعث على تشجيعهم وتحفيزهم وبعث الأمل في نفوسهم.

وكان الامام البروجردي نفسه يرتقي المنبر بعد الصلاة في بروجرد، وفي قم أيضاً، حيث كان يتصدّى بين حين وآخر للوعظ والإرشاد بعد الدرس. فكان له باع في فنّ الخطابة، ويرغب أن يتعرّف الطلّاب عموماً على هذا الفنّ.

سمعته ذات يوم يقول: «إنّ إحدى ميزات الحوزة في قم بالقياس إلى حوزة النجف الأشرف هي أنّ الطلّاب هنا غالباً يستطيعون ارتقاء المنبر للحديث». لذلك كان يشجّع أمثال هؤلاء الطلّاب، ويرسل عدداً منهم للتبليغ.

مضافاً إلى ذلك، ظهر بين الطلّاب عدد من الكتّاب كانوا ينشرون نتاجاتهم في الصحف والمجلّات الصادرة في العاصمة، وفي مجلّة «نور دانش» (نور العلم)، و «آئين إسلام» (نهج الإسلام)، وصحيفتي: «پرچم إسلامي» (لواء الإسلام)، و«جهان إسلام» (دنيا الإسلام)، وبعض الصحف الرسميّة الصادرة، مثل: «اطّلاعات».

وأخيراً، هؤلاء الكتّاب أنفسهم أصبحوا هم السبب في صدور مجلّة «مكتب إسلام» (مدرسة الإسلام)، وكنت أحدهم. وهذه القضيّة لها قصّة طويلة.

وكان عدد من الطلّاب يصدرون مجلّة «مكتب تشيّع» (مدرسة التشيّع)، ومن بينهم: سماحة الشيخ الهاشمي الرفسنجاني، والشهيد الدكتور مفتّح.

وفي مجلّة «حكمت» (الحكمة) في قم كانت تنشر نتاجات عدد من العلماء الفضلاء في قم، أمثال: الشهيد مطهّري، والسيّد أحمد پيشوائي، والشيخ آذري القمّي، وآخرين غيرهم، وأحياناً كانت تنشر نتاجاتي.

وأخيراً بلغ تطوّر الكتابة في حوزة قم درجة حازت فيه (كتاب السنة) لعامين متواليين.

الإصلاحات في الحوزة:

كما نعلم فإنّ الحوزات العلميّة كانت تشكو في السابق من عدم وجود الامتحان، والمرحوم البروجردي نفسه كان يتأوّه بسبب الفوضى التي تسود أجواء الحوزة، وعدم وجود المسؤوليّة.

فعمل في البداية على تعيين بعض المدرّسين مسؤولين عن امتحانات الطلّاب، وألزم ←

. . . .

← الطلّاب الاشتراك في تلك الامتحانات، وحصر التمتّع بامتيازات الحوزة بالامتحانات نفسها.

وها نحن نلحظ الاستمرار في هذا العمل بشكل أدقّ بعد مضي سنين على الشروع به.

وعندما كان الامام البروجردي أراد أن يشرط دفع رواتب الطلّاب بالامتحان في حوزة النجف، تمّت مقاطعة الامتحان من قبل أحد علماء النجف، فلم يطبّق.

وكان الامام البروجردي يولي عنايته بحسن الخطّ، والإملاء، والإنشاء الصحيح. وحاول أن يدخلها مع الموادّ الدراسيّة في الامتحان.

وإذا ما رأى من أحد خطّاً جميلاً فإنّه كان يفيد منه في أعماله العلميّة الخاصّة، كما لاحظنا ذلك عندما كلّف حجّة الإسلام الميرزا حسن النوري ـ وهو ما سأذكره لاحقاً ـ بإعادة تدوين كتابه في الرجال وتنظيمه. وذلك لما رآه من خطّه الجميل.

وإذا ما شاهد الامام البروجردي طالباً شابّاً يحفظ «ألفيّة ابن مالك» فإنّه كان يشجّعه ويكافئه.

وكان يراعي ـ في دفع الرواتب ـ درجات الإيمان والفضيلة والخلفيّة العلميّة للطلّاب.

ومضافاً إلى الرواتب الاعتياديّة، فإنّه كان يمنح الصفوة من الطلّاب امتيازات إضافيّة، وكان يساعدهم بشكل منظّم أو غير منظّم.

وأنشأ إلى جانب مكتبه العامّ مكتباً يدعى: مكتب (حسب الأمر) خصيصاً لأُمثال هؤلاء الطلّاب، والأُسر العلميّة، والأشخاص الذين كانوا موضع عنايته وعطفه.

وعندما كان يعود الطلّاب من التبليغ، ومعهم حقوق شرعيّة الامام البروجردي، فإنّه كان يعطيهم قسماً منها، وأحياناً كان يعيدها لهم كما هي.

وكان يسمح لوكلائه في مختلف المناطق أن يأخذوا مقداراً من الحقوق لمعيشتهم، أو لإدارة شؤون الحوزة والمبلّغين والعلماء المحليّين في مناطقهم. وقد صادف أحياناً أن تصرف جميع حقوق المنطقة للمنطقة نفسها.

وكان الامام البروجردي يعارض الفوضى السائدة في الحوزة، ويمتعض من الطلّاب الذين يعملون على الإخلال بالنظم والهدوء بسبب تحرّكاتهم السياسيّة وغيرها. فكان ينصحهم ويعظهم، وأحياناً يحذّرهم.

أتذكّر إبّان قدومي إلى قم أنّ عدداً من المدرّسين الكبار ضمنوا موافقته على تنفيذ مشروعه ←

. . . .

→ الإصلاحي في المدرسة الفيضيّة. بيد أنّه عزف عن ذلك فيما بعد بسبب الغموض الذي يكتنف ذلك المشروع، ممّا أفضى ذلك إلى انزعاجهم وانقباضهم، ومن ثمّ تنحّيهم عن العمل، ممّا يطول شرحه، وجاء شطر منه في كلام آية الله السلطاني في مجلّة «الحوزة».

إذا تعرّض الطلّاب والمبلّغون إلى مشكلة أو مضايقة من قبل شرطة قم، أو من قبل الحكومة المركزيّة، أو من قبل الجهات المختصّة في المدن الأخرى، فإنّه كان يسعى لرفع تلك المشكلة أو المضايقة، وما لم ترفع لم يهدأ باله ولم يستقر. فكان يتابع أوضاع الطلّاب بدقّة، حتّى إنّه كان مطلّعاً على منهج التفكير عند بعض الفضلاء المشهورين. فكان يوجّه نصائحه بين حين وآخر في جلسة الدرس أو في أوقات العطلة الحوزويّة، وينبّه الطلّاب على واجباتهم الخطيرة.

إيفاد المبلّغين خارج البلاد:

يشكّل إيفاد المبلّغين خارج إيران واحداً من المشاريع الابداعيّة الامام البروجردي في حقل التبليغ والإعلام الإسلامي.

فأوفد لأوّل مرّة عدداً من المبلّغين، منهم: المرحوم «محقّقي رشتي» الذي كان متميّزاً خلقاً وخُلُقاً ومعرفةً وعلماً باللغة والعلوم المعاصرة، أرسله إلى ألمانيا. أقام هذا الرجل في هامبورغ، فشيّد مسجداً فخماً فيها، وأقرّ نظاماً معيّناً للعمل، وواصل نشاطه حتّى وفاة الامام البروجردي.

وكم سمعت من السيّد ومن الشيخ محقّقي نفسه سرور السيّد وابتهاجه بعمل موفده وثنائه عليه، حتى إنّه هيّأ له سيّارة شخصيّة، وأوصى أن يعيش معزّزاً مكرّماً. وسمعته مرّة يقول: «إنّ مؤونة الشيخ محقّقي باهظة، بيد أنّي أراه يعمل ويفيد، لذلك أتحمّل ذلك».

من المؤسف أنّ الشيخ محقّقي لم يواصل عمله هناك بعد وفاة الامام البروجردي، فعاد إلى إيران. وبما أنّ مركزيّة العمل معدومة في الحوزة، لذلك بلغت به الحال أن مدّ يد العوز إلى المراجع الآخرين، وأخيراً لم يفلح في مواصلة العمل، فأجبرته الظروف المعيشيّة القاهرة أن يعمل في بيع الكتب، إلى أن وافاه الأجل، وهو على تلك الحال. وكم كان يتململ ويتضجّر لانعدام النظام في الحوزة.

بعد مضي سنين على الانقطاع أوفد الشهيد الدكتور «بهشتي» إلى هامبورغ من قبل بعض المراجع حينئذٍ. وبعد معاناة طويلة استطاع أن يعيد نظام المسجد، ثمّ عاد إلى إيران.

←

وقبل قدوم الامام البروجردي إلى قم كانت الحوزة العلميّة فيها تدار تحت إشراف كلّ من الآيات العظام: الصدر، وحجّت، والخوانساري. وبما أنّ التشكيلات الإداريّة والقرارات كانت مقسّمة بين هذه الشخصيات الثلاث الكبيرة، لهذا فقد كانت تفتقر إلى القوّة والصلابة والحزم، بل وكانت تؤدّي أحياناً بسبب تناحر المحيطين إلى الضعف والتشتّت والفشل والاختلاف، ممّا كان يؤدّي إلى وقوع الكثير من المشاكل، ويتيح الفرصة للأعداء وللسلطة الحاكمة للاستفادة السيّئة من ذلك.

وبعدما توحّدت إدارتها تحت زعامة الامام البروجردي التي اشتهرت

← وذهب بعده سماحة الشيخ «شبستري» الذي كان يدير شؤون المسجد لسنين.
أمّا الآن فإنّ أفراداً آخرين مشغولون بالعمل والتبليغ هناك، منهم حجّة الإسلام «محمود أنصاريان».
على أيّ حال، فإنّ مسجد هامبورغ يظلّ معلماً تذكارياً لذلك الرجل العظيم، ومنطلقاً مهمّاً لنشر الإسلام والتشيّع، وخندقاً أميناً للثورة الإسلاميّة، وركيزة أمل للطلبة الجامعيّين المسلمين من الإيرانيّين وغيرهم في أُوروبا.
ومنه انطلق الشهيد الدكتور «بهشتي» لتوسيع رقعة نشاطاته الإسلاميّة والسياسيّة لتشمل سائر الأصقاع في القارّة الأُوروبيّة والتجمّعات الطلّابيّة. وهذا العمل بحقٍّ واحد من امتيازاته، في حين كان الشيخ «محقّقي» يحترز من كلّ تحرّك ثوري، ممّا أدّى إلى تذمّر واستياء بعض الطلبة الجامعيّين والعناصر الثوريّة.
وما عدا هامبورغ، فإنّ المحطّة الأُخرى للتبليغ هي واشنطن، حيث كان الامام البروجردي يبحث عن شخص مناسب يوفده هناك، فوقع اختياره ـ آخر الأمر ـ على الأُستاذ الكبير الشيخ «مهدي الحائري اليزدي»، الابن الثاني لآية الله الشيخ عبد الكريم الحائري، مؤسّس الحوزة العلميّة في قم.
وبالفعل سافر الشيخ إلى هناك، وتصدّى لمزاولة النشاطات الإسلاميّة. وبعد وفاة الامام البروجردي رفض أن يكون وكيلاً لمرجع آخر، وظلّ يتردّد بين إيران وأميركا، وزاول التدريس في الجامعات الأُميركيّة إلى سنين. (حياة الإمام البروجردي: ٦٩ ـ ٧٨).

حتّى عام ١٣٨٠هـ ودامت نحو ستّ عشرة سنة، حصلت فيها خلال تلك المدّة تغييرات كبرى على الصعيد السياسي والاجتماعي، وكذلك على صعيد التأليف، والتصنيف، والترجمة، وطباعة الكتب الفقهيّة، وغير ذلك، ورافقها أيضاً تطوير الهيكليّة الإداريّة للحوزات العلميّة وتنظيم شؤونها. والأهم من كلّ ذلك أنّه أوجد نوعاً من الوحدة والانسجام الملموس بين الحوزة والشريحة العلمائيّة ومختلف فئات الشعب، وهو ممّا لا يمكن شرحه وتفصيله في هذه النبذة المقتضبة من حياته.

تلاميذه في قم

بلور الامام البروجردي أثناء مدّة إقامته في قم ملجأً دراسياً باهراً وعميقاً، تربّى فيه طلّاب أفاضل وعلماء كثيرون. وسوف نستعرض في ما يلي أسماء عدد قليل منهم، ممّن أضحوا اليوم شخصيات بارزة في الحوزة العلميّة، وصار قسم منهم في عداد مراجع التقليد الكبار، وهم عبارة عن الآيات والحجج:

١ ـ الإمام روح الله الخميني ﵀.

٢ ـ عبد الرحيم الربّاني الشيرازي.

٣ ـ علي پناه الاشتهاردي.

٤ ـ علي الصافي الگلپايگاني.

٥ ـ لطف الله الصافي الگلپايگاني.

٦ ـ حسين علي المنتظري.

٧ ـ محمّد فاضل اللنكراني.

٨ ـ حسين النوري.

٩ ـ ناصر مكارم الشيرازي.
١٠ ـ إسماعيل المعزّي الملايري.
١١ ـ محسني الملايري.
١٢ ـ مجتبى العراقي.
١٣ ـ محمّد واعظ زاده الخراساني.
١٤ ـ جعفر السبحاني.
١٥ ـ حسين بُدلا.
١٦ ـ جعفر الأحمدي.
١٧ ـ مرتضى البرقعي.
١٨ ـ حسين الكرماني.
١٩ ـ أحمد علي أحمدي الشاهرودي.
٢٠ ـ محسن حرم پناهي.
٢١ ـ إبراهيم الأميني.
٢٢ ـ محمّد تقي ستوده.
٢٣ ـ محمّد حسين الدرچي.
٢٤ ـ عبد الرحيم البروجردي.
٢٥ ـ علي ثابتي الهمداني.
٢٦ ـ محمّد باقر الأبطحي الأصفهاني.
٢٧ ـ محمّد علي الأبطحي الأصفهاني.
٢٨ ـ حسن النائيني.
٢٩ ـ جواد خندق آبادي الطهراني[١].

(١) راجع كتاب: چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

الفصل الثاني :

أساليبه وأفكاره

مقامه ومكانته العلميّة

كان الامام البروجردي يتقن معظم العلوم والمعارف التي كانت متداولة في الحوزة العلميّة، وكان له في أكثرها رأيه ومتبنّياته الخاصّة به.

كتب الشهيد مرتضى المطهّري في هذا المجال ما يلي:

«كنّا نحضر دروس الامام البروجردي، وكنا نلاحظ بأنّه يبدي رأيه في القضايا الفقهيّة والأُصوليّة.. لقد كان فقيهاً من الطراز الأوّل في زمانه، وكان متبحّراً جدّاً في الفقه والأُصول، وكانت له رؤاه الخاصّة في هذين الحقلين، وكانت لديه أيضاً إحاطة واسعة بتفاسير القرآن، وكان حافظاً لأكثر من نصف القرآن. أمّا الآداب العربيّة فقد كان يجيدها إلى حدٍّ بعيد، ولا يكاد المرء يصدّق بأنّ رجلاً فقيهاً يمكن له أن يتقن آداب اللغة الفارسيّة إلى هذا الحدّ. كان أحياناً يستشهد في مناسبات أو مواضع معيّنة بأشعار من المولوي أو حافظ الشيرازي، ويدرك المرء من خلال ذلك بأنّه لو لم يكن متقناً لها وملمّاً بها لما استطاع قراءة شيء منها في أكثر من مناسبة وموضع معيّن. وكذلك كان جيّداً في استقراء المعلومات التاريخيّة»[1].

ومنذ بداية انخراطه في سلك العلوم الدينيّة، كان لا يكتفي في أيّ درس يدرسه بالنصّ الدراسي المعيّن في ذلك المنهج، وإنّما كان يتحرّى كلّ جوانبه بالبحث الموسّع، ويصل فيه إلى حدّ الاجتهاد والاستنباط.

---

(١) مسألة شناخت (مسألة المعرفة) للمطهّري: ١٤٤ ـ ١٤٥.

وكان هو نفسه يقول:

«كنت حتّى في علم النحو والمعاني والبيان أدرس حسب اجتهادي، وأبحث في تلك الموضوعات. وكنت أحرص على أن يكون لي رأي في كلّ مسألة من أيّ علم كانت...»[١].

قال آية الله الحاجّ الشيخ علي الصافي الگلپايگاني في وصف شخصيّته العلميّة ما يلي:

«كان من الناحية العلميّة فرداً جامعاً، وكانت له آراؤه الخاصّة في: الفقه، والأُصول، والتفسير، والرجال، والتاريخ، والفلسفة، وغير ذلك. وكانت لديه إحاطة تامّة بأقوال فقهاء أهل السنّة. ولهذا السبب كانت له استنباطات بارعة. وكان في الفلسفة من الطلّاب الممتازين في درس جهانگير خان في أصفهان، وكان له باع طويل في هذا المجال، حتّى قيل: إنّه لم يظهر في الفلسفة بعد المرحوم السبزواري إلى ذلك الوقت أحد يضارع المرحوم الكمپاني، والامام البروجردي، فقد كان يحفظ أشعار المنظومة بشكل جيّد. وكان مجتهداً في علم الرجال، ولا يكتفي بما ينقله الآخرون. وكانت له مبادؤه في علم الأُصول، وكان يأخذ بمبادئ جديدة في مسائل أُصوليّة، مثل الترتّب، وكان يتقصّى جذور مسائل أُصول الفقه»[٢].

كانت لدى الامام البروجردي معرفة لا يُستهان بها في مسائل الهيئة والرياضيات أيضاً. ورغم أنّه درس هذين العلمين في مطلع شبابه، غير أنّهما بقيا

(١) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٢٦.
(٢) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و٤٤ / صفحة: ١١٢، نقلاً عن آية الله الشيخ علي الصافي الگلپايگاني.

محفوظين في ذهنه إلى أواخر عمره الشريف.

حضر عنده ذات مرّة اللواء حسن علي رزم آرا، مخترع بوصلة رزم آرا؛ ليقدّم له تقريراً عن اختراعه. فبادر سماحته إلى طرح أسئلة عليه، والاستفسار منه عن خصائص تلك البوصلة، على نحو ينمّ عن إتقانه التامّ لعلم الهيئة والرياضيات، فكان ذلك مدعاة لتعجّب اللواء رزم آرا[١].

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ١٥٠.

التجديد في استنباط الأحكام

أ ـ التجديد في الفقه(*)

(*) إنّ الوقوف على الأحكام الشرعيّة من الكتاب والسنّة وسائر أدلّتها هو الفقه الذي كان قد مارسه الامام البروجردي منذ شبابه إلى رحيله، فقد قام بتدريس كثير من أبواب الفقه طيلة حياته، كما درس سائر الأبواب بنفسه مرّة بعد أُخرى، وكان يتمتّع بذاكرة حادّة نسبة إلى المسائل الفقهيّة والآراء التي دارت حولها من قبل الفريقين.

وهو حين إلقائه المحاضرات الفقهيّة يتبع النهج التالي:

١ ـ إذا كانت المسألة ذات تاريخ عريق في الفقه الإسلامي من عصر الصحابة والتابعين والائمة المعصومين إلى يومنا هذا، درج في بيان سيرها التاريخي وما مرّت عليه من مراحل تاريخيّة.

ولم يكن ذلك من خصائصه في الفقه فحسب، بل كان يدخل من هذا الباب في المسائل الأُصوليّة أيضاً. مثلاً: كان ﷺ يدرّس مبحث (العامّ والخاصّ)، وكانت المسألة المعنونة هي: صيرورة العامّ مجازاً بعد التخصيص وعدمها، فخاض في لباب تاريخ المسألة حتّى وصل إلى النتيجة التالية: بأنّ المسألة عنونت في أوائل القرن الرابع، ثمّ ذكر الآراء من ذلك العصر إلى يومنا هذا.

وهذه من خصائصه، فكان يرى أنّ الإحاطة بالأقوال من أركان الاستنباط، ومع أنّه كان يمتلك أكثر الكتب الفقهيّة للفريقين مخطوطها ومطبوعها، ولكنّه كان يعتمد في نقل الآراء على كتاب «الخلاف» للطوسي، و«تذكرة الفقهاء» و«منتهى المطلب» للعلّامة الحلّي.

وكثيراً ما ينقل الآراء الفقهيّة لأصحابها حسب تدرّجها الزماني حتّى يعلم تطوّر المسألة، وربّما يشير إلى مباني الآراء عند ذكرها إشارة عابرة.

٢ ـ ثمّ إنّه بفضل التركيز على نقل آراء فقهاء الفريقين والإشارة إلى بعض الأدلّة، كان لمنهج فقهه صبغة الفقه المقارن، فيذكر آراء الفقهاء وبعض أدلّتهم، وربّما يصحّح وأُخرى يناقش بصدر رحب، وكثيراً ما يعتمد على كتاب «الأُم» للشافعي و«الموطّأ» لمالك. وعندما يجلس على منصّة التدريس يحسّ الطالب أنّه فقيه متضلّع خبير بكافّة الآراء الفقهيّة لجميع المذاهب الإسلاميّة، وهذا كان من أبرز سمات منهجه، ولم يكن استيعابه للصحاح ←

إنّ المنهج الاجتهادي الذي اتّبعه الامام البروجردي أحدث تغييراً يـلفت النظر في طريقة استنباط الأحكام في حوزتي قم والنجف، فقد كانت الغالبيّة من الفقهاء العظام تكتفي في استنباط الأحكام بالرجـوع إلى بـاب الأحـاديث فـي

→ والمسانيد بأقلّ من استيعابه للكتب الأربعة.

٣ ـ إنّ الامام البروجردي كان يقيم للشهرة الفتوائيّة أو العمليّة ـ على الفرق الواضح بينهما ـ قيمة كبيرة. فإذا كانت الرواية ممّن أفتى بها القدماء من الفقهاء لم يكن يعدل عنها، بل إنّه يتّبع هذا الأُسلوب فيما لو كانت هناك فتوى مشهورة بين القدماء وإن لم تعضد بـالدليل، وكان يقيم الأدلّة على حجّيّة الشهرة الفتوائيّة للقدماء بما لا مجال لبيانه.

٤ ـ إنّه ﷺ يذكر حول الروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام كلمة معروفة، مـضمونها كالتالي: كما أنّ للآيات القرآنيّة شأن نزول، فهكذا لروايات أئمّة أهل البيت أسباب ورود، ولا يعلم إلّا بالرجوع إلى فتاوى الفقهاء المعاصرين لهم، فبالتعرّف على فتاواهـم تـعرف إشارات الإمام في كلامه ولطائف مقاله، كما تعرف بها الرواية الصادرة عن مصلحة الراوي من الرواية الواردة لبيان الواقع، وكان تلاميذ الأئمّة على اطّلاع بكلا النوعين من الفتيا، فإذا وصل إليهم فتاوى الصادقين يعرفون ما هو الوارد لبيان الواقع، فيصفونه بأنّه أعطاه من عين صافية، وما هو الوارد على وفق الواقع لمصالح اقتضت ذلك، فيصفونه بأنّه أعطاه من جراب النورة.

٥ ـ ومن مميّزات منهجه الفقهي في استنباط الأحكام هو أنّه كان يلتزم بقراءة كـلّ روايـة وردت حول المسألة في «وسائل الشيعة» و«المستدرك» وما في الصحاح والسنن، وكان يقرأ كلّ رواية بسندها التامّ، ويذكر خصوصيّة أكثر الرواة غير المعروفين وأنّه من أيّ طبقة من الطبقات، وكثيراً ما ينبّه على سقوط الواسطة، أو طـروء تـقليب، أو تـصحيف عـلى الرواية، أو يشير إلى عدد رواياته قلّة وكثرة.

وفي ظلّ الإحاطة بالأسانيد كان يجهد في توحيد الروايات، فيرجع الروايـات المـتعدّدة ظاهراً إلى أصل واحد قائلاً: بأنّ التكثّر طرأ عليها مـن قـبل الوسـائط. وهـذا كـان مـن اختصاصاته في الفقه.

٦ ـ كان ﷺ يجهد في أن يذكر لكلّ مسألة الدليل المهمّ الذي يمكن أن يستند إليه المجتهد، وينأى بنفسه عن ذكر الأدلّة الضعيفة ومناقشتها صيانةً لوقت الطالب. (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ١٨ ـ ٢٠).

الكتب المختصّة لذلك. ولم تكن الأقوال ـ وخاصّة أقوال القدماء ـ تحظى بالرعاية والتتبّع(*)..

ولكن الامام البروجردي عندما وطأت قدماه ميدان الفقاهة، كان يُخضع أقوال القدماء والمتأخّرين لبحث وتقييم دقيق. وكان يعتبر الرجوع إلى كتب القدماء وبحثها مبدأً أساسياً، ويحرص على التعامل معها وإحيائها. وكان في هذا السياق يستذكر ويطرح في الأوساط الحوزويّة المخطوطات والكتب الفقهيّة القديمة، مثل: الجوامع الفقهيّة، ومفتاح الكرامة، التي كانت قد آلت إلى النسيان، وبادر إلى طباعتها ونشرها[1].

(*) كان منهج الإمام البروجردي في الفقه يختلف تماماً عن الآخرين، فقد تميّز بإبداعاته الجمّة، وكان يهتمّ بآراء قدماء الشيعة وشهرتهم في الفتوى، وكانت له رغبة في جمع فتاوى اثنين من الفقهاء الذين سبقوا الشيخ المفيد، وهما: الحسن بن أبي عقيل العماني، ومحمّد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي. وكان الأوّل معاصراً للشيخ الكليني (٣٢٩هـ)، والثاني معاصراً للشيخ الصدوق (٣٨١ هـ). وكانت فتاوى ذينك الفقيهين خاصّة بهما غالباً، وتختلف عن فتاوى الآخرين. ولم يجمعها كتاب، بل هي موزّعة في الكتب الفقهيّة الأُخرى، ومنها كتاب «المختلف» للعلّامة الحلّي.

وأنا شخصياً بدأت بجمع فتاوى ابن الجنيد بناءً على أمره، بيد أنّي لم أُوفّق لإتمامه. إلى أن تمّ جمع فتاوى الاثنين بإشرافي من قبل أحد طلّاب الماجستير في فرع الفقه، لكنّها لم تطبع، فقام طالب آخر من طلّاب الأُستاذ الإمام بجمع تلك الفتاوى وطبعها.

ويطلق على ابن أبي عقيل وابن الجنيد: القديمان. وكان الامام البروجردي يقول أحياناً: «لا نعلم كم هو مقدار الروايات التي كانت في متناول أيديهما». وذكروا عن ابن الجنيد في الفهارس أنّه كان يفتي بالقياس. ولعله اتُّهم بالعمل بالقياس؛ لأنّه وسّع دائرة الاجتهاد من حدود المسائل المنصوصة إلى المسائل الأُخرى، في وقت لم يكن هذا العمل متداولاً بين الشيعة آنذاك. (حياة الإمام البروجردي: ٨٩).

(١) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٣١، مقتبس من لقاء مع آية الله الشيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني.

لقد كان ـ عند الاستنباط في أيّ فرع فقهي ـ إذا رأى حديثاً، فإنّه ينظر إلى زمن صدوره، ويلاحظ آراء ووجهة نظر فقهاء أهل السنّة، وخاصّة في المدينة، وكذلك بالنسبة إلى المدن التي كان على اتّصال بها أو يسكنها الأشخاص الذين عرضوا السؤال على الإمام، ويلتفت كذلك إلى طبيعة فهم الأصحاب والسائلين، وهو الفهم الذي دفعهم إلى سؤال الإمام. وفي ضوء الاهتمام الذي كان يبديه الامام البروجردي بأقوال وكتب القدماء من جهة، وانطلاقاً من إحاطته بالجوانب والزوايا التاريخيّة الصغيرة والكبيرة من جهة أُخرى، لذلك فقد كان يتتبّع كلّ هذه التفاصيل في بحوثه بدقّة.. وهذا ما لم يسبقه اليه أحد من قبله[1].

ب ـ منهجه الأُصولي

كانت لدى الامام البروجردي إحاطة تامّة بمسائل علم الأُصول، ويوليها كثيراً من الاهتمام، وقد أخضع الكثير منها لمزيد من الدقّة والتمحيص. وقد اتّبع منهجاً خاصّاً في مفهوم الإجماع، وذهب إلى خلاف ما ذهب إليه مشهور الأُصوليّين من القول في بحث الانسداد بأنّه يمثّل دليلاً على الحجّيّة المطلقة للظنّ، حيث اعتبره ببيان خاصّ دليلاً على حجّيّة خبر الواحد[2]. كما أنّ القول بأنّ موضوع علم الأُصول الحجّيّة[3] يُعتبر من ابتكاراته.

ورغم كلّ ما كان له من إحاطة وتبحّر بمسائل علم الأُصول، فقد كان في مقام الاستنباط أكثر ما يعوّل على الأحاديث والأبحاث الفقهيّة، وقليلاً ما كان

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و٤٤، مقتبس من مقالة للسيّد جواد العلوي.
(٢) لاحظ الحاشية على كفاية الأُصول للبروجردي ٢: ١٥٣ وما بعدها، و١٧٧ وما بعدها.
(٣) راجع لمحات الأُصول: ١٧ ـ ١٨.

يتمسّك بالأُصول العمليّة(١).

وعلى العموم يمكن تلخيص المزايا الاستنباطيّة للامام البـروجردي فـي الموارد التالية:

١ ـ جمع الروايات الخاصة في ذلك الباب، وحذف الزوائد منها وتشذيبها.

٢ ـ تركيزه العميق على السير التاريخي للموضوع، وسبر أصله وجذوره.

٣ ـ الاهتمام بأقوال القدماء التي كان يسمّيها: (الأُصول المتلقّات).

٤ ـ رعاية سند هذه الأقوال، ودراسته لها(٢).

ج ـ ابتكاره في علم الرجال

أحد فروع العلوم الإسلاميّة في الحوزات العلميّة هو «علم الرجال» الذي يُعتبر من الأركان المهمّة في عمليّة استنباط الأحكام. ويُعنى هذا الفرع بـمعرفة رواة الأحاديث من حيث وثاقتهم أو عدمها، ولهذا السبب فإنّ له أهميّة بالغة في عمليّة الاستنباط، كما يحظى بالنظر الدقيق والاهتمام.

لقد دوّنت في هذا الفرع كتب كثيرة حتّى الآن، ولكلّ واحد من ذوي النظر أُسسه وأُصوله الخاصّة له في هذا العلم.

وكان للامام البروجردي إبداع ونبوغ متميّز في هذا المجال(*).

---

(١) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٢٨، نقلاً عن آيـة الله الشـيخ لطـف الله الصافي الگلپايگاني.

(٢) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ١٥٤.

(*) إنّ الامام البروجردي ـ بعد عناء وجهد طويل ـ وصل إلى أسـدّ الطـرق لمـعرفة الرواة، ووضعه كمقياس عدل لمعرفة الحديث أمام المحدّثين والفقهاء، فأتى بشيء جديد لم يسبقه

←

. . . .

→ إليه غيره.

توضيحه: أنّ الرجاليّين عندنا كانوا ولا يزالون يتعبّدون في الأكثر بقول أئمّة هذا الفنّ وعلماء الجرح والتعديل، ويقلّدونهم في إبراز الوثوق بشخص أو عدم الوثوق به، وفي طليعة هؤلاء الأشخاص الأئمّة الثلاثة من الأوّلين:

الأوّل: أبو عمرو محمّد بن عمر الكشّي المعاصر للكليني صاحب «الكافي» المتوفّى عام (٣٢٩ هـ ق)، في كتابه: «معرفة الناقلين عن الأئمّة المعصومين»، وقد اندثر أصله وبقي اختياره للشيخ الطوسي في متناول أيدينا. وقد قمت أنا بطبعة مصحّحة منه مع ذيل طويل في جامعة مشهد قبل حوالي عشرين سنة بمناسبة المؤتمر الألفي للشيخ الطوسي.

الثاني: الشيخ أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (م ٤٥٠ هـ) في فهرسته، وهو من تلامذة الشيخ المفيد والشريف المرتضى.

الثالث: الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ)، وله كتابان في هذا المجال: «كتاب الفهرست» و«كتاب الرجال»، وكلاهما مطبوع. وقد طبعنا الفهرست بالأوفست مع ذيل طويل عند إقامة المؤتمر الألفي للطوسي.

فقول هؤلاء وقليل ممّن عاصرهم أو تأخّر عنهم ـ ومنهم العلّامة الحلّي (م٧٢٨هـ) في كتابه «خلاصة الرجال» ـ لا زال معياراً في معرفة الرجال والطبقات.

وهذا ـ ولا شكّ ـ طريق يعتمد عليه في النقليات، إلّا أنّ الحقّ لا ينحصر فيه، وليس وقفاً على آراء هؤلاء، بل ليس هو أوثق السبل وأحسن الطرق في معرفة الرجال؛ إذ لا يعدو في الحقيقة إلّا أنّه تقليد لهم وتسليم لرأيهم بشأن الرواة، من دون معرفتهم مباشرة وبالنظر والاجتهاد.

وهناك إلى جانب ذلك باب مفتوح أمام الفقيه والمحدّث لمعرفة الرواة مباشرة، ولا شكّ أنّه أسلم وأبعد من الخطأ، وأقرب لإبداء الرأي وحرّيّة النظر في حال الرواة.

ولعلّ اعتماد هؤلاء الأئمّة أيضاً كان في أوّل الأمر على هذا الطريق المباشر الذي صار فيما بعد نسياً منسياً، فقامت أقوالهم وآراؤهم مقام هذا العلم المباشري السليم، وأصبحت كأنّها الطريق الفريد والصراط القويم عند من تأخّر عنهم.

وهذا الطريق الذي اتّخذه الأستاذ أساساً لمعرفة رجال الحديث ومعرفة طبقة الراوي وعصره ونسبه ونسبته والتعرّف بشيوخه والرواة عنه، هو الرجوع إلى سند الروايات ←

....

← المتكرّرة في كتب الحديث، وبمتابعة الأسانيد واستقرائها يظهر الخلل في كثير منها بسقوط الواسطة وعدم اتّصال سلسلة السند، أو تبديل اسم باسم.
ويمكننا معرفة الحلقة المفقودة باستقصاء الأشباه والنظائر إذا توفّرت وكثرت القرائن، وقامت الشواهد عندنا في الأسانيد المتكثّرة المتوالية، كما يعرف اسمه واسم أبيه وجدّه وكنيته وربّما تاريخ حياته.
هذا الطريق بعينه مفتوح أمامنا للتعرّف بدرجة علم ثالرواةوفقههم وضبطهم وأمانتهم في النقل ومذهبهم ونحو ذلك، وذلك بالرجوع إلى متون أحاديثهم المبعثرة على الأبواب في كتب الحديث، وتقديرها من حيث اللفظ والمعنى، كمّاً وكيفاً، فيعلم بذلك أنّ الراوي هل كان متضلّعاً في الفقه والكلام أو السيرة والتاريخ أو التفسير أو غيرها من المعارف، أو لم يكن له خبرة في شيء منها وأنّه لم يكن من الراسخين في العلم أصلاً.
ويجوز استنباط ذلك والإحاطة به إذا قيست رواياته بعضها ببعض، وبما رواه رواة آخرون في معناها، ثمّ يلاحظ أنّه كان قليل الرواية أو مكثراً منها، وأنّه كان مخلّطاً أو لم يكن، وهكذا.
وهذا يحصل أيضاً بمراجعة الأحاديث التي وردت عن الأئمّة عليهم السلام بشأن الرواة من أصحابهم أو من تقدّمهم، وقد أبدوا فيها وثوقهم بشخص أو عدم وثوقهم به، فتعطينا صورة من حال رواة الحديث من ناحية موقفهم لدى الأئمّة الهداة عليهم السلام.
وقد جمع شطراً كبيراً من هذه الروايات أبو عمرو الكشّي في كتابه الذي بقي عندنا اختياره للشيخ الطوسي، وبقي شطرٌ منها متفرّقة في مطاوي الكتب، ينبغي استدراكها في موسوعة كبيرة.
وبالجملة: فمعرفة الرواة وطبقاتهم عن طريق أحاديثهم وملاحظتها متناً وسنداً تكاد تكون معرفة بالاجتهاد والنظر، لا بالتقليد والأثر، ومعلوم أنّ الإشراف على جميع روايات شخص واحد يستدعي جمعها في كرّاس واحد، وهذا ما عمله قديماً علماء الحديث من الجمهور، وسمّوا هذا النوع من كتب الحديث: (المسند). وكان الغرض الأهمّ لهم من هذا العمل التلاقي مع الرجال والصحابة من خلال رواياتهم.
أمّا الشيعة الإماميّة فلم يهتمّوا بتأليف المسانيد، وكان سيّدنا الأُستاذ يحبّذ هذا العمل، ويرغّب طلّاب العلم وأعضاء لجنة الحديث بالاشتغال به، ولا ريب أنّه خلل وفراغ في ←

. . . .

→ حديثنا يجب أن يسدّ.

وقد بدأ جمع روايات كلّ إمام من الأئمّة باسم: (المسند) من قبل المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام في مشهد المقدّسة، وانتشر منها لحدّ الآن عدّة مجلّدات، والقائم بجمعها وتأليفها العالم المتتبّع الشيخ عزيز الله العطاردي نزيل مشهد.

أمّا الذي بقي في ذمّة الزمان فهو جمع روايات كلّ واحد من أصحاب الأئمّة عليهم السلام المعروفين بكثرة الرواية عنهم، وقد اشتغل به بعض أعضاء لجنة الحديث في حياة الإمام البروجردي، ولا علم لي بما آل إليه أمره.

فهذا هو الذي يفيدنا معرفة كبرى بحال الرواة ممّا يحتاج إليه الفقيه، أمّا جمع روايات إمام واحد فيوقفنا على مدى توفّر اتّصال الشيعة بأئمّتهم واكتساب رواياتهم، وإلّا فلا يزيدنا معرفة بحالهم وعلمهم، فإنّهم نور واحد حسب ما ثبت في المذهب.

نعم، ربّما يعلم منها ما كان شائعاً من المسائل في عصر كلّ إمام، حيث كان يرجع الناس إليهم ويسألون عنها، كما يعرف من خلال ذلك عدد من روى عنهم.

أمّا إذا حصلت لدينا الكتب ـ أي: مسانيد رجال الأئمّة عليهم السلام ـ فهي خير وسيلة للإحاطة بأحوالهم.

وفي رأيي أنّ الموجب لعدم اهتمام طائفتنا قديماً بسدّ هذا الفراغ والقيام بتأليف مسانيد الرجال أنّ أكثر الرواة القدامى، سواء الذين أخذوا عن الأئمّة مباشرة، أو الذين لم يرووا عنهم إلّا بالواسطة، كانوا قد جمعوا حديثهم في كتاب، والأُصول الأربع مائة المعروفة ـ وهي تحتاج إلى الحديث عنها طويلاً ـ وكثير غيرها ممّا نسب إلى أصحاب الأئمّة كانت من هذا القبيل، فهي كانت تعتبر بمنزلة المسانيد لهؤلاء الرواة، ولكنّها ـ مع الأسف ـ لم تصل إلينا كما هي، سوى ما نقل عنها في ثنايا كتب الحديث المعروفة، فإنّه لمّا ظهرت الجوامع الحديثيّة في القرن الثالث فما بعده وجمعت بين دفّتيها ما كانت في تلك الأُصول والكتب من الروايات ـ وقد انتظمت الجوامع الحديثيّة على حساب موضوع الحديث دون اسم الراوي ـ اندثرت تلك المصادر، وباندثارها ذهب ذلك الانسجام والتوالي الذي كان مشهوداً بين روايات رجل واحد في كتابه أو أصله، إلّا أنّ تلك الأُصول لمّا كانت في متناول الأيدي إلى أزمنة لا يعلم حدّها بالضبط، لم ير القدماء حاجة إلى تدوين مسانيد الرجال، وأمّا في هذا الوقت الذي نعيشه وقبله بعدّة قرون حيث ضاعت تلك الأُصول التي قلنا: إنّها كانت بمنزلة ←

. . . .

← المسانيد ولم يبق منها إلّا القليل النادر، فالآن نحسّ إحساساً ملموساً بضرورة جمع الروايات وترتيبها على حساب الرجال بصورة المسانيد؛ ليعود الأمر إلى ما كان، ويسهل النظر فيها، ولمعرفة حال رواتها من خلالها.

والحقّ أنّ المحقّقين من علماء الرجال كانوا يرجعون إلى متون الروايات وأسانيدها، وكذلك إلى ما ورد بشأن كلّ رجل في كلمات أئمّة الرجال، أو في أحاديث أهل البيت..

فمن راجع كتاب «رياض العلماء» للعلّامة المتتبّع الميرزا عبدالله الأفندي الأصفهاني، وقد طبع في الأعوام الأخيرة باهتمام آية الله المرعشي ﷺ، وقد كان هذا الكتاب عند العلّامة المامقاني حين تأليف كتابه «منتهى المقال»، واستفاد منه كثيراً، وكذلك كتاب «جامع الرواة» للمحقّق الأردبيلي (م١١٠١ هـ) المعاصر للعلّامة المجلسي، وقد جمع نسخ الكتاب الإمام البروجردي، وأمر بطبعه بإشراف الحاجّ ميرزا حسن النوري ﷺ.

ومن مميّزات هذا الكتاب الأخير أنّه راجع لمعرفة شيوخ الرواة إلى كثير من أسانيد الكافي والتهذيب وغيرهما. وسمعت أنّ الامام البروجردي كان يقول: «النسبة بين عملي في ترتيب الأسانيد وبين هذا الكتاب: «جامع الرواة» العموم من وجه» أي: بعض ما فيه من الرجوع إلى الأسانيد مجموع بكامله في كتابه، ولكن هناك ترجمة لحال الرواة ليس في «ترتيب الأسانيد».

كما أنّ كتاب «معجم رجال الحديث» لآية الله الخوئي فيه ميزة خاصّة، وهي أنّه فهرس كلّ كتب الرجال وأسانيد الروايات، فجمع كلّ ما فيها في ترجمة الرواة.

ومع ذلك كلّه يجب أن نعترف بأنّ ما عمله الأُستاذ الإمام فريد في بابه، لم يسبقه إليه أحد.

ويجب أن يعلم أنّ ما بقي من تآليف هذا الإمام في هذا الباب نوعان من الكتب:

الأوّل: مرتّب الأسانيد لكتاب «الكافي»، غيره من كتب الحديث والرجال.

الثاني: مرتّب رجال الأسانيد من هذه الكتب وذكر طبقاتهم.

ومغزى الأمرين واحد. توضيح ذلك: أنّ الهدف الأصلي من هذه الموسوعة هو معرفة الراوي من خلال استقراء الأسانيد التي اشتملت على اسم هذا الراوي، ثمّ معرفة شيوخه الذين روى عنهم، وتلامذته الذين رووا عنه، وما وقع من الخلل في الأسانيد من الإرسال أو الخلط والخطأ في الأسامي ونحو ذلك.

وإليكم الفرق بين الأمرين، والتعريف بهاتين السلسلتين:

←

ويدلّنا على ذلك ما قاله أحد تلاميذه حول هذا الجانب:

«كان الامام البروجردي (أعلى الله مقامه) محيطاً بتراجم رواة الأحاديث، حتّى كأنّه قد ربّاهم؛ فكان يعرف كلّ واحد منهم باسمه، وأين وُلِد، وأين عاش، ومن كبار أيّة طبقة كان، ومن صغار أيّة طبقة، وكم إمامٍ أدركَ، وماذا ألّف. ويمكن أن نلخّص كلّ ذلك في ما قاله أحد الأفاضل: بأنّه يعدّ الرجال

← الإمام البروجردي أوّلاً قام بترتيب الأسانيد الواقعة في كتب الحديث على ترتيب مشايخ صاحب الكتاب بحسب الحروف، فرتّب لكلّ واحد من مشايخ الكليني والشيخ الطوسي والصدوق وغيرهم باباً، وجمع أسانيده من كتبهم بعضها تلو بعض، في قائمة ماثلة أمام الناظر، فيقف على جميع طرق الراوي إلى الإمام عليه السلام في مكان واحد. وبذلك وضع السيّد الأُستاذ أمام المحقّقين ذريعة مطمئنة للاستشراف على الأسانيد وطبقة الرواة.

وابتدأ عمله هذا بأسانيد الكتب الأربعة غير الاستبصار؛ لأنّ جميع ما فيه موجودٌ في التهذيب، بناءً على مذهبه المشار إليه من شدّة الحاجة إلى روايات هذه الكتب، وأنّها عمدة ما يحتاج إليه الفقيه، فرتّب أسانيد كلّ منها، وسمّاها: «مرتّب أسانيد الكافي»، «مرتّب أسانيد التهذيب» وهكذا، ثمّ انصرف إلى ترتيب أسانيد الكتب الأربعة الرجاليّة المتقدّم ذكرها وبعض كتب الشيخ الصدوق.

نلاحظ مثلاً جميع ما ورد في الكافي مثل «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبي» مرتّبة في قائمة، مع ذكر مواضعها من نسخة الكافي المطبوع. وهذا السند أكثر ما وقع في كتاب «الكافي»، والكليني روى عن أستاذه علي بن إبراهيم أكثر من ألفي حديث.

ثمّ نلاحظ أنّ بعض هؤلاء الرواة قد يذكر اسمه فقط، وقد يضاف إليه اسم أبيه وجدّه معاً، أو منفرداً، أو يذكر مع كنيته ولقبه، وقد يكتفي بالكنية أو اللقب من دون الاسم، وربّما تسقط في السلسلة بعض الحلقات، فيعرف بملاحظة غيرها من الأسانيد المشابهة.

فباستيفاء الأسانيد وقياس بعضها ببعض يعلم جميع شيوخ الرواة، وتلامذتهم، وطبقتهم، وما وقع في بعض الأسانيد من الإرسال والخلل والخطأ في الأسامي. (حياة الإمام البروجردي: ١٢٢ ـ ١٢٩).

بأنامله»(١).

ونتيجة لهذه الإحاطة والتبحّر فقد أُتيح له أن يكون مبدعاً ومبتكراً في هذا المضمار. ومن ذلك أنّه بادر إلى عمل يندر مثيله، وهو أنّه فصل سند الروايات التي وردت في الكتب الحديثيّة التي يُستفاد منها ويُستند إليها في استنباط الأحكام، وأخضعها للبحث والدراسة والتمحيص الدقيق ممّا لا يستوعبه هذا الكتاب الصغير الحجم. وقد كان لهذا الجهد الرائع نتائج ومعطيات باهرة استفاد منها الباحثون وعلماء الرجال، ويمكن تلخيصها في ما يلي:

١ ـ معرفة شخصيّة وأحوال الراوي.

٢ ـ الاطّلاع على عدد روايات كلّ راوٍ.

٣ ـ تسليط الضوء على الأسماء المحذوفة من الرواة في سلسلة سند الأحاديث.

٤ ـ الكشف عن الموارد المشتركة.

٥ ـ تمييز حالات التحريف والتصحيف.

٦ ـ ترتيب طبقات الرواة.

والموضوع الأخير من المعطيات المفيدة جدّاً لهذا الجهد التاريخي، وتنتج عنه نتائج إيجابيّة جمّة، حيث كان قد ابتدأ فيه من محدّثي صدر الإسلام، وعهد الأئمّة، وأيّام الغيبة الصغرى والكبرى، وجمع فيه كلّ الرواة في إطار ونظم جديد، وعيّن فيه طبقات الرواة في كلّ عهد، ووصل بهذا الترتيب إلى العصر الحاضر، ويندرج سماحته في هذا النظم ضمن الطبقة السادسة والثلاثين(٢).

---

(١) الگوي زعامت (قدوة القادة): ٨٣، نقلاً عن آية الله الميرزا حسين النوري الهمداني.

(٢) المصدر السابق: ٣٦، زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ١٦٠.

آثاره ومؤلّفاته

مثلما كانت لدى الامام البروجردي قدرة في التدريس والبحث والتحقيق والتجديد، كذلك استطاع أيضاً أن يدوّن تلك الإبداعات القيّمة، ويضعها رقائق على أوراق المهارق؛ ليقدّمها إلى الأجيال اللاحقة. وقد شرع بالتأليف قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره، واستهلّ ذلك بكتابة حاشية على كفاية الأُصول لأُستاذه الآخوند الخراساني. وابتداءً من ذلك العهد لم يُلق القلم من يده، بل شمّر عن ساعد الجدّ وانكبّ على تأليف آثار خالدة، حتّى إنّه قال:

«لقد كتبت الكثير من الأشياء؛ بعضها أكملته وبعضها الآخر لم أُكمله، وهناك أشياء أُخرى ضاعت عند الانتقال من بروجرد إلى قم»[1].

وبالإضافة إلى أنّ الامام البروجردي كان من ذوي القلم والتأليف، فقد كان أيضاً يحثّ تلاميذه وأصدقاءه على التأليف والكتابة، ويقول:

«إنّه لمن دواعي السرور أن يتحمّل الأُخوة الأفاضل في الحوزة العلميّة مشقّة البحث والتأليف في العلوم الدينيّة، ويخلّفوا وراءهم آثاراً قيّمة.. وأن يكتبوا أشياء تنتفع بها كلّ شرائح المجتمع، ولا يكون فيها ما يدعو أهل الاختصاص إلى مؤاخذتهم عليها»[2].

ونكتفي هاهنا بسرد الآثار القيّمة لهذا الفقيه الكبير، مرتبة موضوعياً:

أ ـ آثاره الحديثيّة

١ ـ الأحاديث المقلوبة وجواباتها.

---

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ١١٨.

(٢) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ٢٨٧.

٢ ـ جامع أحاديث الشيعة.

لقد جاء تدوين هذه المجموعة الحديثيّة القيّمة بناءً على فكرة ابتكرها الامام البروجردي، والهدف منها إكمال كتاب وسائل الشيعة، وسدّ ما فيه من نواقص، من قبيل: تقطيع الأحاديث، وتكرار الأسناد، وتكثير الأبواب والعناوين، وزيادة الحجم، وما إلى ذلك، ممّا جعل الكتاب أكثر فائدة من حيث سهولة الوصول إلى الأحاديث واستنباط الأحكام منها.

بدأت مهمّة تحقيق هذا الكتاب في عام ١٣٧٠هـ. بمساعدة جماعة من تلاميذه مع الإشراف المتواصل من قبل سماحته، واستمرّ العمل فيه عشرة سنوات، وقد طبع منه حتّى الآن ستّة عشر مجلّداً. وقد أُودعت في هذا الكتاب جميع آراء وإبداعات الامام البروجردي، عدا روايات أهل السنّة التي ينبغي أن تُلحق في نهاية كلّ باب وموضوع. وقد اعتبر سماحته هذا الكتاب من ثمار حياته.

٣ ـ حاشية على وسائل الشيعة.

ب ـ آثاره الفقهيّة

١ ـ حاشية على نهاية الشيخ الطوسي.

٢ ـ حاشية على مبسوط الشيخ الطوسي.

٣ ـ حاشية على خلاف الشيخ الطوسي.

٤ ـ حاشية على العروة الوثقى.

٥ ـ الفقه الاستدلالي.

٦ ـ رسالة في المواسعة والمضايقة.

٧ ـ رسالة في منجّزات المريض.

٨ ـ تقريرات بحث صلاة الجمعة وصلاة المسافر، باسم: «البدر الظاهر»، بقلم: الشيخ حسين علي المنتظري.

٩ ـ تقريرات بحث الخمس، باسم: «زبدة المقال»، بقلم: السيّد عبّاس أبي ترابي.

١٠ ـ تقريرات بحث الصلاة، باسم: «نهاية التقرير»، بقلم: الشيخ الفاضل اللنكراني.

ج ـ آثاره الأُصوليّة

١ ـ حاشية على كفاية الأُصول.

٢ ـ الحاشية على كفاية الأُصول، باسم: «تقريرات الدرس»، بقلم: الشيخ بهاء الدين حجّتي البروجردي.

٣ ـ حاشية على فرائد الأُصول.

٤ ـ تقريرات مباحث أُصول الفقه، باسم: «زبدة الأُصول»، بقلم: الشيخ حسين علي المنتظري.

٥ ـ تقرير الأُصول، بقلم: الإمام الخميني.

٦ ـ الحجّة في أُصول الفقه، بقلم: الحائري اليزدي.

٧ ـ تقليد الأعلم، بقلم: أحمد علي أحمدي الشاهرودي.

د ـ آثاره الرجاليّة

٢٣ ـ ترتيب أسانيد الكافي.

٢٤ ـ ترتيب رجال أسانيد الكافي.

٢٥ ـ ترتيب أسانيد الفقيه.

٢٦ ـ ترتيب رجال أسانيد الفقيه.

٢٧ ـ ترتيب أسانيد رجال أسانيد الفقه.

٢٨ ـ ترتيب أسانيد الأمالي.

٢٩ ـ ترتيب أسانيد الخصال.

٣٠ ـ ترتيب أسانيد علل الشرائع.

٣١ ـ ترتيب أسانيد التهذيب.

٣٢ ـ ترتيب رجال أسانيد التهذيب.

٣٣ ـ ترتيب أسانيد الاستبصار.

٣٤ ـ ترتيب أسانيد ثواب الأعمال وعقاب الأعمال.

٣٥ ـ ترتيب أسانيد الفهرست.

٣٦ ـ ترتيب أسانيد رجال الكشّي.

٣٧ ـ تجريد أسانيد رجال النجاشي.

وكما سبقت الإشارة من قبل، فإنّ مجموعة «ترتيب الأسانيد» أو «تجريد الأسانيد» أو «طبقات الرجال» تعدّ من الإبداعات والآثار القيّمة للامام البروجردي في علم الرجال، حيث عمل سماحته في هذه المجموعة وبذوق بارع على فصل أسناد الأحاديث الواردة في كتب: «الكافي، والاستبصار، والتهذيب، والأمالي، والخصال، وعلل الشرائع، وثواب الأعمال»، وغيرها، عن المتون الأصليّة، وإخضاعها للتمحيص والدراسة من جديد، وتشخيص ـ وذلك من خلال ملاحظته لهذه الأسناد ـ تلاميذ وشيوخ كلّ واحد من الرواة.

ويمكن القول بعبارة أُخرى: بأنّه قد رتّب طبقات الرواة على هذا النحو.

نذكر من ذلك على سبيل المثال: أنّه جعل أصحاب الرسول ﷺ في الطبقة الأُولى، وتلاميذهم في الطبقة الثانية، وهكذا إلى عصرنا الحالي، وبيّن خلال ذلك طبقات جميع الرواة والمحدّثين، ويندرج سماحته ضمن الطبقة السادسة والثلاثين.

وفي هذا الترتيب لطبقات الرواة فوائد كثيرة سبق شرحها في باب (إبداعه في علم الرجال).

٣٨ ـ حاشية على رجال النجاشي[1].

٣٩ ـ حاشية على عمدة الطالب.

٤٠ ـ حاشية على منهج المقال.

٤١ ـ مستدرك الفهرست لمنتجب الدين[2].

---

(١) أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد بن العبّاس الأسدي النجاشي البغدادي المعروف بابن الكوفي: أحد أعظم أركان الجرح والتعديل الإماميّة. ولد سنة ٣٧٢ هـ، وطلب العلم في صباه، وحضر مجلس التلعكبري والشيباني. كان بصيراً بعلم الرجال خبيراً به ضابطاً له متحرّزاً في الرواية عن الضعفاء والمتّهمين، وهو الذي تولّى غسل الشريف المرتضى مع اثنين آخرين. من تصانيفه: كتاب الرجال، كتاب الكوفة وما فيها من الفضائل والآثار، كتاب أنساب بني نصر بن قعين وأيّامهم وأشعارهم. توفّي سنة ٤٥٠ هـ. (الرجال لابن داود: ٤٠، نقد الرجال ١: ١٣٧ ـ ١٣٨، بهجة الآمال ٢: ٨٢ ـ ٨٥).

(٢) أبو الحسن علي بن عبيدالله بن الحسن بن الحسين بن بابويه الرازي القمّي المعروف بمنتجب الدين: محدّث إمامي. ولد عام ٥٠٤ هـ، وأقبل على طلب الحديث منذ صغره، فسمع ما لا يحصى كثرة من المشايخ، وفي بلاد كثيرة، حتّى صار من مشاهير حفّاظ عصره. له مصنّفات، منها: فهرست أسماء علماء الشيعة ومصنّفيهم، كتاب الأربعين عن الأربعين من الأربعين، تاريخ الري. توفّي بعد سنة ٥٨٥ هـ بقليل. (التدوين في أخبار قزوين ٣: ٣٧٣ ـ ٣٧٩، مجمع الآداب ٥: ٥١٣ ـ ٥١٤، رياض العلماء ٤: ١٤٠ ـ ١٤٩).

٤٢ ـ الفهرسين «الطوسي والنجاشي».

٤٣ ـ رسالة الفهرست لمنتجب الدين.

٤٤ ـ حاشية على رجال الشيخ الطوسي.

٤٥ ـ رسالة في ترجمة بعض أعاظم أُسرته وأجداده.

٤٦ ـ بيوت الشيعة.

هـ ـ آثاره المتفرّقة

٤٧ ـ الرسائل العمليّة.

٤٨ ـ توضيح المسائل.

٤٩ ـ حاشية على مجمع المسائل.

٥٠ ـ الحاشية على وسيلة النجاة.

٥١ ـ أنيس المقلّدين.

٥٢ ـ حاشية على منتخب الرسائل.

٥٣ ـ صراط النجاة.

٥٤ ـ مناسك الحجّ.

٥٥ ـ توضيح المناسك.

٥٦ ـ مجمع الفروع.

٥٧ ـ حاشية على تبصرة المتعلّمين.

٥٨ ـ الآثار المنظومة.

٥٩ ـ رسالة في المنطق.

٦٠ ـ تعليقة على الأسفار لملّا صدرا الشيرازي[١].

٦١ ـ حاشية على منهج الرشاد.

٦٢ ـ المهدي في كتب أهل السنّة[٢].

(١) صدر الدين محمّد بن إبراهيم القوّامي الشيرازي المعروف بالملّا صدرا وبصدر المتألّهين: من أكبر فلاسفة الإسلام والشرق. كان من أهل شيراز، ورحل إلى أصفهان وتعلّم فيها، وأصبحت له مرتبة سامية في النظر العقلي والبحث العلمي. تتلمذ عليه جملة من العلماء، كعبد الرزّاق اللاهيجي، والفيض الكاشاني. من جملة مؤلّفاته: الأسفار العقليّة الأربعة، مفاتيح الغيب، المبدأ والمعاد، أسرار الآيات، إكسير العارفين. توفّي في سنة ١٠٥٠ هـ بالبصرة عند عودته من مكّة حاجّاً للمرّة السابعة. (روضات الجنّات ٤: ١٢٠ ـ ١٢٢، الكنى والألقاب ٢: ٤١٠، موسوعة أعلام الفلسفة ٢: ٥٢).

(٢) نقلنا هذه الفهرسة من مقالة كتبها آية الله رضا الأُستادي. وللاطّلاع على مزيد من المعلومات والتفاصيل يمكن مراجعة كتاب: چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ٢٨٦ ـ ٣١١.

الفصل الثالث :

سجاياه الأخلاقيّة

منبت الفضائل

من الواضح وضوح الشمس في رابعة النهار أنّ الأشخاص الذين بلغوا مراتب عليا ـ ومنها الزعامة والمرجعيّة في العالم الإسلامي عموماً والعالم الشيعي خصوصاً ـ كانوا قد جسّدوا في أنفسهم ـ إضافة إلى الخصال العلميّة ـ أسمى الفضائل الأخلاقيّة، حيث قد دأبوا طيلة حياتهم على تهذيب أنفسهم وممارسة مبدأ الجهاد الأكبر في تربية الذات، حتّى غدوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿اَللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1]، ثمّ اكتسبوا بعدئذٍ اللياقة والأهليّة للزعامة وهداية الناس.

ومن المؤكّد أنّ الامام البروجردي يعدّ من أكثر الشخصيات التي حازت تلك المكارم. فهو قد غرس في ذاته بذور الفضائل الأخلاقيّة، حتّى جعل من نفسه شجرة مونقة، تؤتي أُكلها في كلّ حين.

فمن جملة السجايا الأخلاقيّة التي اتّسم بها سماحته: الزهد، والتقوى، والأدب، والابتعاد عن التظاهر، وخوف الله، وعدم الاهتمام بالأُمور الدنيويّة، والسخاء، وسعة الصدر، والمثابرة، والجدّ، والتنظيم، والصدق، والإخلاص، والحزم، والصلابة، والتواضع، وما إلى ذلك من السجايا الحميدة التي انبثقت من

---

(١) سورة الأنعام ٦: ١٢٤.

ذاته وفاضت على الوجود كعين دفّاقة، فارتوى من عذب مائها ظمآن الفضائل الأخلاقيّة.

نُتحفُ القُرّاء في ما يلي بلمحات وصور مشرقة من ذلك البحر الموّاج بمكارم الأخلاق:

التوكّل على الله

كان سماحته متوكّلاً على الله طيلة حياته، سواء عندما كان مقيماً في النجف الأشرف أم عندما كان في بروجرد وقم، في كلّ شؤونه الفرديّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة؛ اذ كان يفوّض أُموره إلى الله سبحانه بشكل مطلق. ولهذا السبب ما كانت تثنيه عن أداء مهمّته لا القوّة الاجتماعيّة التي يستقوي بها الأفراد ولا تهديد أصحاب المناصب الحكوميّة؛ فهو كان يعمل بما يراه واجباً إلهياً، وكان يقول:

«كان توكّلي دوماً على الله العالم بحقائق الأُمور، ولم أعقد الأمل قطّ على معونة غيره، ولم أطلب من سواه طلباً على الإطلاق، ولم تأخذني خشية أو رهبة من غيره»[١].

تكريمه لكتاب الله عزّ وجلّ

ومن خصاله البارزة الأُخرى: أنّه كان يحترم ويُبجّل كتاب الله الكريم أشدّ التكريم والتبجيل، فعندما كان كتاب الله يُتلى في مجلس كان وضعه يتغيّر لا إرادياً، وتغشاه خشية ربّه. وحينما كان يقرأ كتاباً ويصل إلى موضع يستشهد فيه

---

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و ٤٤ / صفحة: ٣٣١.

مولّفه بآية من القرآن الكريم، كان أُسلوب قراءته يتبدّل فوراً، حتّى كأنّه يلجّ في عالم آخر.

وفي أحد الأيّام قدم ملك المملكة العربيّة السعوديّة إلى إيران، وكان من جملة ما قام به إرساله بعض الهدايا إلى الامام البروجردي، إلّا أنّ سماحته أعادها كلّها إليه، ولم يتقبّل شيئاً منها، إلّا مصحفاً وقطعة من ستائر الكعبة. وإضافة إلى ذلك طلب منه ملك السعوديّة مقابلته في مدينة قم، غير أنّه رفض ذلك الاقتراح لسبب سنشير إليه لاحقاً.

قدم وفد بعثه الملك السعودي إلى قم، وحظي بمقابلة آية الله ليقدّم لسماحته المصحف الشريف، ورغم كهولة سنّه إلّا أنّه نهض من مكانه عند استلام القرآن، وتسلّمه بكلّ احترام وإجلال، ثمّ جلس، وقبل أن يتحدّث إلى أعضاء الوفد فتح القرآن وقرأ آيات منه بصوت عالٍ، وكأنّه لم يكن هناك في ذلك المجلس من أحد سواه والقرآن، ثمّ أغلقه ووضعه في المكان المناسب، ومن بعد ذلك التفت الى أعضاء الوفد، ورحّب بهم، وأخذ يحادثهم[١].

وهكذا كان تكريمه لسائر الكتب الحديثيّة والفقهيّة وغيرها. وكان يتّفق أحياناً أن يدخل عليه المراجعون ويجلسون في مقابله بحيث تكون ظهورهم إلى الكتب، فكان ذلك ممّا يثير استياءه ويجعله يتململ، ويُنبههم إلى ذلك بشكل أو آخر، ويبادر إلى تغيير مكانهم، ويقول لأحدهم: «سادتي، خلفكم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وكتب الحديث والأخبار والفقه!»[٢].

---

(١) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٣٣، نقلاً عن آية الله لطف الله الصافي الگلپايگاني.

(٢) الگوي زعامت (قدوة القادة): ١٧٦.

محبّ أهل البيت عليهم السلام

كان الامام البروجردي مولهاً بمحبّة الأئمّة الأطهار وأهل البيت عليهم السلام. ومن المعروف أنّه حينما كان مقيماً في بروجرد ابتلي بألم شديد في عينه حتّى بات من العسر عليه المشاركة في عزاء الإمام الحسين عليه السلام، لكنّه رغم كلّ ذلك كان يذهب إلى ذلك المجلس ويشارك في العزاء؛ ليثبت تلك المحبّة، وقد شفى نفسه في ذلك المجلس، وسرد بنفسه ذلك الموقف على النحو التالي:

«ابتليت في المدّة التي كنت فيها في بروجرد بألم شديد أصاب عيني، وصادف ذلك مع أيّام عاشوراء، حيث تُقام مجالس العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام. وفي يوم العاشر ازداد ذلك الألم وبلغ حدّاً قرّرت معه أن لا أُشارك في مجلس العزاء. ولكن ـ مع ذلك ـ انثنيت عمّا عزمت عليه وصعب عليَّ أن لا أحضر مجلس العزاء يوم عاشوراء ولو على سبيل الاستشفاء. فحضرت المجلس، وعندما وصلت جموع المعزّين إلى دارنا، أخذت قطعة طين صغيرة من فوق رجل أحد أُولئك الأشخاص، ومسحتُ بها على عيني المريضة، وبعد هنيهة زال الألم، ولم أُصَبْ من بعدها بأيّ مرض في عيني، ولا احتجت إلى استخدام النظّارات»[(١)].

وفي أحد الأيّام وفد عليه جماعة من الناس لزيارته، وبعدما دخلوا الدار، قام أحدهم وقال بصوت عالٍ: «من أجل سلامة الإمام صاحب الزمان عليه السلام والامام البروجردي ارفعوا أصواتكم بالصلاة على محمّد وآل محمّد». فبعث هذا الكلام في نفسه الاستياء، وقال:

---

(١) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ٣٤٧، نقلاً عن آية الله جواد العلوي، بقليل من التصرّف.

«أخرجوا هذا الشخص من هنا! لماذا جعل اسمي إلى جانب اسم الإمـام المهدي عليه السلام ؟!»[١].

وكان مراده من هذا الكلام هو أنّ مكانة ومنزلة الأئمّة الأطهار عليهم السلام أسمى من أن تذكر أسماؤهم إلى جانب أسماء أشخاص آخرين حـتّى وان كـان ذلك الشخص هو نفسه.

وكان سماحته يبدي احتراماً فائقاً للسيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام، ويرى لها منزلة ومقاماً جليلاً، وما كان يسمح بتجاهل قدرها باعتبارها كريمة أهل البيت وسليلة أهل بيت الرسول، ولها منزلة تفوق منزلة الناس العاديّين.

ولهذا السبب رفض عرضاً من ملك السعوديّة عندما جاء إلى طهران وبعث له هدايا، رفض عرضاً اقترحه عليه لمقابلته، وقال للمقرّبين منه حول سبب هذا الرفض: «لو جاء هذا الشخص إلى قم ولم يذهب لزيارة السيّدة المعصومة عليها السلام، فإنّ موقفه هذا يُعتبر بمثابة استهانة بها، وأنا لا أتحمّل مثل هذا الموقف أبداً»[٢].

القناعة وبساطة العيش

كانت تحت تصرّف سماحته مبالغ هائلة من الحقوق الشرعيّة، وكان يدفع مرتّبات شهريّة لطلبة علوم الدين وأفاضل الحوزة العلميّة في النجف وقم، لكـنّه رغم كلّ ذلك كان يعيش حياة تتّسم بالزهد والبساطة، ولم يكن ينفق على نفسه من الحقوق الشرعيّة وإنّما من عائدات ملك قليل كان له في بـروجرد، وحـتّى

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و ٤٤ / صفحة: ١١٧.
(٢) المصدر السابق: ١١٨، الگوي زعامت (قدوة القادة): ١٧٦.

الخبز الذي كانت تتناوله عائلته كان من الحنطة التي تزرع في تلك الأرض.

نقل أحد المقرّبين منه حول هذا الجانب من حياته ما يلي:

شكا الامام البروجردي في أحد الأيّام وعبّر عن استيائه من عدم جودة عمل الخبّاز في تلك الحارة قائلاً: بأنّ هذا الخبز لا يُخبز بشكل جيّد. وقد أبلغت الخبّاز بتذمّره، فقال الأخير: إنّ نوعيّة الدقيق الذي يقدّمه سماحته لنا ليست جيّدة، ولا يمكن أن نعمل منه خبزاً أفضل من هذا. فإن كان سماحته يريد خبزاً أفضل فيمكنني شراء دقيق أفضل لعمل خبز له من نوعيّة جيّدة. فعدت إلى سماحته وأبلغته مقالة الخبّاز، وعندما اطّلع على حقيقة الأمر قال: «هذا الدقيق مُستحضر من ملكي الشخصي، ولست مستعدّاً لاستبداله، وعليّ أن أكتفي به»[١].

وفي الوقت نفسه كان إذا جاءه أحد طلبة العلوم الدينيّة الأفاضل وأعرب عن حاجته إلى كتابٍ معيّن، كان سماحته يُسارع إلى إعطائه ثمن ذلك الكتاب مهما غلا، بينما كان إذا أراد شراء كتاب لنفسه كان يطيل المساومة إلى أن يقتنيه بأدنى ثمن ممكن، وذلك لأنّه كان ينفق من دخله الخاصّ الذي كان محدوداً ولا يكاد يبلغ الكفاف[٢].

اهتمامه بالمحرومين

في أحد الأعوام شهدت مدينة بروجرد وما جاورها قحطاً وغلاءً، وذات

(١) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٥٤، نقلاً عن والد آية الله الفاضل اللنكراني، مع التلخيص والتصرّف.

(٢) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و ٤٤ / صفحة: ١٤٨.

يوم لقي الامام البروجردي أثناء عودته من إقامة صلاة الجماعة في مسجد السلطاني امرأة وبرفقتها طفل رضيع وعدد من الصبيّة. كانت تبكي والدموع تسيل من عينيها وهي تئنّ من وطأة الغلاء وعسر ذات اليد، وقد باعوها رغيف خبز من النوعيّة الرديئة بثمن باهض، ولم يكن بالإمكان أكله، فجاءت إليه شاكية، فخنقته العبرة، وقدّم لها معونة مبلغاً من المال، وقال: «أتمنّى لو استطعت أن أفعل شيئاً لعموم الفقراء».

وعندما وصل إلى داره كان متأثّراً جدّاً، ثمّ إنّه ـ بعد ذلك ـ دعا وجهاء المدينة والتجّار والأغنياء للحضور في داره، وألقى فيهم كلمة مثيرة للمشاعر، حثّهم فيها على التعاطف والمودّة واستشعار هموم الآخرين. فأخذت تلك الكلمة مأخذها في نفوس الحاضرين ودفعتهم، إلى القيام بعمل يرمي إلى حلّ المشكلة من أساسها؛ إذ تمّ شراء كمّيّة من الحنطة، وصاروا يخبزون منها خبزاً ذا نوعيّة ممتازة، ويبيعونه على الناس بأسعار زهيدة. وبالإضافة إلى ذلك بنيت مصانع للنسيج على نطاق واسع في المناطق المحرومة، ممّا أدّى إلى تحسّن أوضاع الكثير من العوائل الفقيرة التي شارفت أُمورها على الانهيار والهلاك[١].

وفي إحدى السنوات أُصيب الامام البروجردي بألم شديد في رجله، ممّا اضطرّه إلى الذهاب إلى منطقة (آبگرم) في منطقة (محلّات) مرّتين. وذات مرّة علم الناس من أهالي تلك المناطق بوجوده هناك، فسارعوا إلى لقائه، وكان من بينهم أُناس معوزون، يتوقّعون منه أن يمدّ لهم يد العون والمساعدة. فقدّم سماحته

---

(١) خاطرات (مذكّرات) الامام البروجردي للعلوي: ٥١.

لهم شيئاً من المساعدات الماليّة، وبالإضافة إلى ذلك أوعز بـذبح عـدّة خـراف وتقسيمها بينهم، وبادر بعض مرافقيه إلى عزل قطعة لحم صـغيرة مـن أجـل أن تُشوى وتُقدّم له في الغداء، ولمّا رأى ذلك اللحم على مائدة الطعام واستعلم عنه وعلم حقيقة الأمر امتنع عن تناول شيء منه، وإنّما اكتفى باللبن والخيار والخبز، وقال: «لا أتناول من هذا اللحم المشوي، قسّموه بين الفـقراء، فـهم قـد شـمّوا رائحته!»(١).

كرم فريد

الكرم خصلة حميدة من خصال الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام والصحابة الكرام والأولياء، ويعتبر الامام البروجردي في هذا المجال من الشخصيات التي قلّما يرى المرء نظيراً لها. وكرم هذا الفقيه الجليل الذي برز في مواقف كثيرة ينمّ بحقّ عن سمو نفسه ونُبل شخصيته.

ومن هذا المواقف: أنّه ورث من والده ملكاً، فقسّمه نصفين أحدهما لنفسه وتبرّع بالنصف الآخر للفقراء والمحتاجين في تلك المدينة(٢).

وفي موقف آخر: باع سماحته قسماً من أملاكه، وقبض المبلغ ووضعه في ظرف، ومن جانب آخر وضع مبلغاً آخر في ظرف آخر لإعطائه لأحد الفقراء، ولكن الخادم أخطأ وأعطى للفقير الظرف الذي يحتوي على ثمن الملك، وبعدما ذهب ذلك الفقير إلى داره ولاحظ وجود مبلغ كبير في الظرف أدرك بأنّ هناك خطأ

---

(١) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٥٤.
(٢) المصدر السابق: ٢٦٣، نقلاً عن آية الله ناصر مكارم الشيرازي.

ما قد حصل؛ فأعاد الظرف إلى الامام البروجردي، ولكن سماحته أبى أن يستردّه منه، وقال له: «المال الذي أعطيناه لا نستردّه»[١].

الاعتذار من التلاميذ

إنّ الإنسان الذي لا يهذّب نفسه سرعان ما يعتريه الكِبر والغرور فيما لو أحرز منصباً أو بلغ مقاماً أوصله إليه تخصّصه في فرع أو علم معيّن، وقد يؤدّي به ذلك حتّى إلى الزلل والطغيان.

في حين أنّ الشخصيات الرفيعة أشبه ما تكون بالشجرة السامقة[٢] التي كلّما ازدادت ثمارها ازداد انحناؤها وتواضعها، ومثل هؤلاء الأشخاص يكونون أكثر حذراً ومراقبة لأنفسهم خشية الوقوع في المنزلقات، وحتّى لو صدر منهم خطأ ما فسرعان ما يبادرون إلى إصلاحه واستدراك عواقبه.

ذكر أحد تلاميذه الموقف التالي:

كان الامام البروجردي يدرّس مادّة الأُصول في مسجد (عشق علي)، وفي أحد الأيّام شرع أحد التلاميذ ـ وكان اسمه الشيخ علي الجابلقي ـ بطرح الكثير من الإشكالات، فأجابه الأُستاذ، ثمّ ردّ هو جواب الأُستاذ، فأجابه الأُستاذ ثانية، ولكنّه عاود ردّه، واستمرّ البحث والنقاش على هذا المنوال. وبما أنّ سماحته كان مُسِنّاً فقد غضب من ذلك الشيخ وردّ عليه بحدّة واضطربت حالته! وبعد انتهاء الدرس انفضّ الجميع. وعند الغروب جئتُ إلى المسجد، وبعد انتهائي

---

(١) المصدر السابق: ٢٦٤.

(٢) السمق: العلو والطول. (تهذيب اللغة ٨: ٣٢٣).

من صلاة المغرب جاءني رضا المشهدي خادم الامام البروجردي، وقال: «إنّ السيّد عند عودته من الدرس وقف ما بين المكتبة والقسم الداخلي من الدار، وهو في وضع سيّئ، وطلب حضورك إلى هناك». فصلّيت العشاء وذهبت إليه، فرأيته واقفاً هناك وهو في حالة من الاستياء، وما أن رآني حتّى ابتدرني قائلاً: «ما كان هذا العمل الذي صدر منّي؟! لقد أسأتُ إلى عالم ربّاني. يجب علي أن أذهب الآن وأُقبّل يده واستميحه عذراً وأرجو منه الصفح عنّي، ومن بعدها أعود وأُصلّي صلاة المغرب والعشاء!». فقلت له: «إنّ هذا الشيخ يأمّ المصلّين الآن في مسجد «الشاه زيد»، وسيلقي يلقي بعد الصلاة محاضرة، وهذا يعني أنّه لن يعود إلى داره قبل ساعتين أو ثلاث. ولكنّني أرى بأن أُخبره بأنّ سماحتك ستأتيه صباح الغد إلى داره»، فوافق على اقتراحي. وفي صباح اليوم التالي ذهبت إلى ضريح السيّدة المعصومة، وعندما رجعت إلى داري وجدت سماحته مستقلاً عربة الأُجرة وينتظر عند باب داري، فذهبت وإيّاه إلى دار الشيخ علي، وما أن رآه الامام البروجردي حتّى أراد تقبيل يده، ولكن الرجل رفض ذلك، فقال له السيّد: «أرجو أن تصفح عنّي؛ لأنّني قد خرجت عن حالتي الطبيعيّة ورفعت صوتي عليك!»، فقال له الشيخ: «أنت سيّد المسلمين، وعملك ذاك مفخرة لي». وبقي سماحة الامام البروجردي يكرّر كلمات الاعتذار. وكان هذا الموقف سبباً إلى أن يغدو الشيخ علي الجابلقي ممّن حظى باهتمام ورعاية الامام البروجردي[1].

ولعلّ مثل هذا الموقف حصل مع طلّاب آخرين أيضاً، فلو رأى نفسه

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و٤٤ / صفحة: ٦٢، نقلاً عن آية الله السيّد مصطفى الخوانساري.

مقصّراً بعض الشيء فإنّه في اليوم التالي يبادر إلى الاعتذار من ذلك الشخص أمام الطلّاب قبل شروع الدرس.

ويعدّ هذا السلوك مغايراً طبعاً لما كان سائداً في أجواء الحوزة العلميّة؛ وذلك لأنّ الأُستاذ يُعتبر بمثابة الأب بالنسبة إلى التلاميذ، والحال أنّ من المستساغ أن يتعامل الأب مع أبنائه بحدّة أو يوجّه إليهم توبيخاً معيّناً ضمن حدود الآداب العامّة.

الأدب واحترام الآخرين

ذكر أحد التلاميذ ـ وكان يتردّد على دار السيّد باستمرار ـ: بأنّه لم يشاهد الامام البروجردي من غير عمامة وقباء قطّ. وعند الجلوس كان يجثو على ركبتيه فقط، ومع أنّه كان يعاني من ألم في رجله، ومن ثمّ فقد اقترحوا عليه أن لا يجثو على ركبتيه على المنبر أثناء التدريس، بل يسدل رجليه على درجات المنبر، إلّا أنّه رفض ذلك قائلاً باستغراب: «كيف لي أن أفعل ذلك، وهؤلاء الناس الأفاضل يجلسون عند المنبر ؟!»[١].

وفي الآونة الاخيرة حيث اشتدّ عليه ألم رجله ولم يعد أمامه من بدٍّ سوى أن يمدّ رجليه، فقد اضطرّ إلى أن يضع في داره منضدة ويضع رجليه تحتها، لكي لا يكون في عمله ذلك إساءة إلى الجالسين عنده[٢].

---

(١) المصدر السابق: ٢٤٢، نقلاً عن المرحوم حجّة الإسلام والمسلمين الميرزا حسين النوري الهمداني.

(٢) الگوي زعامت (قدوة القادة): ١٧٠، نقلاً عن آية الله الصافي الگلپايگاني.

إدراك الظروف

كان الامام البروجردي يعيش على مستوى حياته الفرديّة معيشة تتّسم بالزهد والبساطة، وكان يتّبع أُسلوباً صارماً ومتشدّداً في إنفاق الحقوق الشرعيّة للطلّاب وغير ذلك من الشؤون الأُخرى. ولكن في الوقت نفسه إذا كانت القضيّة تتعلّق بعزّة وعظمة الإسلام والمسلمين كان لا يتوانى عن تقديم كلّ شيء، بل كان يقدم على توظيف مبالغ طائلة بكلّ اندفاع ورغبة.

وهذا ما ينمّ بطبيعة الحال عن بُعد نظره وتفكيره على المدى البعيد وإدراكه الصحيح للظروف الزمانيّة والمكانيّة التي تتطلّب اتّخاذ الموقف المناسب في الوقت المناسب.

وحينما عزم على تأسيس مركز ثقافي في مدينة (هامبورغ) الألمانيّة، لنشر تعاليم الإسلام والمذهب الشيعي، اشترى مندوبه قطعة أرض لهذا الغرض، ولكنّها لم تكن في موقع يتناسب وشأن المهمّة المنشودة من وراء ذلك، وعندما وقف الامام البروجردي على حقيقة الحال قال:

«ليس من الصلاح على الإطلاق أن لا نهتمّ بالظواهر في مجتمع تهفو قيمه نحو الجمال الظاهري، ولا من المناسب إظهار هذا الجانب في أعين أتباع الديانات الأُخرى وكأنّه شيء حقير وتافه! وفي البلد الذي تُبنى فيه مؤسّسات ومراكز أتباع الأديان الأُخرى بشكل فخم وجميل، ينبغي أن تُبنى المراكز والمعاهد الخاصّة بالمسلمين بشكل فخم وجميل أيضاً، وأن تكون في موقع مناسب؛ لكي لا يشعر المسلمون بالحقارة والدونيّة، وفي هذه الحالة سأتحمّل كلّ

نفقاته مهما بلغت»[١].

هذا في وقت أمر سماحته بالتوقّف عن تزيين المسجد الأعظم بالسراميك من الداخل بعدما تناهى إلى سمعه أنّ المهندس «لرزاده» بدأ بتزيينه بالسراميك، وقد أنجز قسماً من ذلك العمل. وقد حاول المهندس استحصال موافقته لإتمام ذلك العمل، حتّى إنّه وسّط وشفّع عدداً من العلماء والوجهاء لهذا الغرض، لكنّه لم يفلح في مسعاه، وقد بقي تزيين المسجد بالسراميك غير تامّ منذ ذلك اليوم وإلى يومنا هذا[٢].

وما ذاك إلّا لأنّه كان يرى أن لا ضرورة لتزيين المساجد في مدينة قم، وأنّ المساجد كلّما كانت أبسط كانت أقرب إلى العقلانيّة.

شقّ الطريق في قم

في عهد حكم الشاه بدأ العمل بشقّ شارع «چهار مردان» في قم. ولكن الكثير من علماء تلك المدينة عارضوا هذا الشارع بذريعة أنّ الأهالي غير راضين ببيع أملاكهم الخاصّة ودورهم وعقاراتهم، وأنّ الحكومة لا يحقّ لها الاستيلاء على تلك الأملاك بالقوّة من أجل إحداث شارعٍ.

ولهذا السبب بعدما انتهى العمل فيه اعتبروه مغصوباً، واجتنبوا السير فيه، واضطرّوا إلى السير في الأزقّة المظلمة والضيّقة وعدم المرور في ذلك الشارع.

---

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و٤٤ / صفحة: ٢٤٢، مع قليل من التصرّف في النصّ.

(٢) المصدر السابق: ١٧١، نقلاً عن آية الله الشيخ مجتبى العراقي.

في تلك الأوضاع كان الامام البروجردي من الفقهاء القلائل الذين رأوا في ذلك المشروع عملاً يصبّ في مسار الصالح العامّ، فدافع عنه وقال: «لقد غدت أوضاع المجتمع اليوم بحاجة ماسّة إلى الشوارع والطرق العريضة».

ورغم أنّ بعض الأوساط المتنسّكة اعتبرت ذلك الموقف تأييداً لنظام الشاه، وسوّغت لنفسها توجيه أنواع التُهم إليه، إلاّ أنّه لم يتراجع عن رأيه قطّ، بل بالعكس عمد في أحد الأيّام إلى السير مشياً على الأقدام في ذلك الشارع تأكيداً عملياً منه على ضرورته، ولكي يبيّن للجميع بأنّ المصالح العامّة للمجتمع مقدّمة على المصلحة الفرديّة والملكيّة الخاصّة.

الفصل الرابع :

فكره التقريبي

تاريخ رؤيته التقريبيّة(*)

(*) ليس «التقريب» وسيلة لتحقيق هدف.. بل إنّه هو الهدف؛ لأنّه لابدّ من وجود «الأُمّة الواحدة» لكي تتحقّق «عبوديّة ربّ العالمين» على ظهر الأرض: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

لا نريد أن نقف عند هذه المسألة الهامّة، بل أشرنا إليها؛ لنمهّد لحديثنا عن بعض نشاطات التقريب لدى أُستاذنا الفقيد آية الله العظمى الإمام البروجردي؛ لنقدّم بذلك من تاريخنا الحديث مثالاً على مساعي علمائنا في حقل التقريب، ولنُبعِّد ما قد يتبادر إلى الأذهان من أنّ التقريب وسيلة لتحقيق هدف سياسي مرحلي.

الإمام البروجردي عَلَمٌ من أعلام الفقه وأُستاذ كان يحضر درسه جمع كثير من المجتهدين، والمهمّ أنّه كان صاحب طريقة خاصّة في الاستنباط والاستدلال، لها علاقة هامّة بالتقريب.

من ذلك: أنّه كان يعتقد بأنّ الرجوع إلى فتاوى علماء أهل السنّة يسهّل السبيل لفهم روايات أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ هذه الروايات صدرت غالباً تعليقاً على الفتاوى الرسميّة الرائجة آنذاك، وكان السائل يأتي الإمام، فيذكر الفتوى الرائجة من علماء أهل السنّة، ويسأله عن رأيه فيها، والإمام يجيب.

وكان يرى أنّ الرجوع إلى فتاوى علماء السنّة على مرّ التاريخ هو مقدّمة الاجتهاد عند الشيعة.

والمهمّ أنّه كان يؤكّد مراراً أنّ هذه الطريقة هي سنّة علماء السلف من فقهاء الشيعة الإماميّة، فالقدماء كانوا يهتمّون بمقارنة فتاوى أهل السنّة والشيعة، وخلّفوا لنا في هذا المجال كتباً هامّة، سمّيت: بمسائل الخلاف.

واهتمّ الإمام البروجردي بهذه الكتب، وحرص على التعليق على كتاب «الخلاف» للشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ)، وطبعه لأوّل مرّة.

وظلّت هذه السنّة الحسنة بعده رائجة في الحوزة العلميّة، متمثّلة بدراسات الفقه المقارن.

والظاهرة الثانية في مدرسته الفقهيّة: أنّه كان يفصل بين الظاهرة الأُمويّة وظاهرة أهل السنّة في التاريخ..

←

....

← إنّ سعي بعض الأُمويّين لتحريف أحكام الإسلام دفع ببعض العلماء لأن يعتقد بأنّ الأحكام الموجودة لدى أهل السنّة قد حرّفت عمداً من قبل علماء السلطة.
ولكنّه كان لا ينظر إلى فقه أهل السنّة بهذا المنظار المتشائم، بل كان يجهد لاستبيان علّة الاختلاف في الفتوى.
على سبيل المثال: حين يتناول مسألة الصلاة في أوّل وقتها، يطرح رأي أهل السنّة القائل بعدم جواز التأخير بدون عذر، وأنّ التأخير بدون عذر ذنب (وهو أحد القولين المشهورين لدى الشيعة الإماميّة)، حتّى أنّ بعض أهل السنّة يرى أنّ تأخير الصلاة عن أوّل وقتها يستدعي أداءها قضاءً. وأمام هذه الآراء كان السيّد الأُستاذ يقول: «إنّ فتوى أهل السنّة مستنبطة من سيرة رسول الله ﷺ؛ إذ كان يؤدّي الصلاة دائماً في أوّل وقتها. لكنّ الرسول ﷺ فعل ذلك؛ لأنه كان يؤمّ المسلمين في جماعتهم. والتزام النبي بالصلاة في أوّل وقتها باعتبار إمامته في الصلاة، ولكنّه أخّرها أحياناً في غير عذر كما جاء في الأحاديث، ومن هنا جاز في مدرسة أهل البيت تأخير الصلاة عن أوّل وقتها بإرشاد من أئمّتهم عليهم السلام، مع التأكيد ـ حتّى عند أئمّة أهل البيت ـ على أدائها في أوّل وقتها، وكانت سنّة مستمرّة عندهم ولا تزال قائمة في مدرستهم. لكنّ التأخير لا يوجب القضاء عندهم».
بهذا الأُسلوب كان يتعامل السيّد الأُستاذ مع مسائل الخلاف، ويحاول أن يجد المبرّر الموضوعي لها.
إضافةً إلى أسلوبه الفقهي التقريبي، كانت للامام البروجردي مساعٍ عمليّة للتقريب، أتذكّر قوله يوماً في أحد دروسه: «أمر التقريب ـ والحمدلله ـ في تقدّم، وأشكر الله أن كان لي سهم فيه».
وفهمنا ـ بعد ذلك ـ أنّ استبشار السيّد في تقدّم أمر التقريب كان نتيجة رسائل وصلته من شيوخ الأزهر الشريف في هذا المجال وإجابته عليها.
كتب إليه المرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر حين ذاك مرّة يقول: «أُثمّن جهودكم، وأسأل الله القادر العليم أن يحقّق آمالكم الإسلاميّة... وبشراكم فإنّ خطواتكم على طريق التقريب كانت مدعاة للصلاح والسير نحو الله».
كما كتب إليه المرحوم الشيخ عبدالمجيد سليم ـ وكان شيخاً للأزهر قبل الشيخ محمود شلتوت ـ رسالة في مرضه، وأجابه السيد عليها.

←

....

→ كان السيّد الأُستاذ يعقد الأمل الكبير على « دار التقريب » في القاهرة ، ويرعى أمينها الشيخ محمّد تقي القمّي .
وحين كنت أُراجع الإمام البروجردي في بيته إكمالاً لمشروع « جامع أحاديث الشيعة » رأيت الشيخ القمّي مراراً في بيته منتظراً لقاءه .
ومن الظواهر الهامّة في نشاط الامام البروجردي على الصعيد العلمي : تغيير مسير الحوار بين أهل السنّة والشيعة نحو ما يمكن أن يتّفقوا عليه ، وإبعاد الحوار عن المسار الذي لا يمكن أن يتّفقوا عليه ..
على سبيل المثال : ما رأيت السيّد الأُستاذ يطرح مسألة « الخلافة » على الإطلاق في جلساته العامّة والخاصّة ، في الدرس وفي خارج الدرس ، بل سمعته في جلساته العامّة والخاصّة ، في الدرس وفي خارج الدرس ، بل سمعته في جلساته الخاصّة يقول : « مسألة الخلافة لا جدوى فيها اليوم لحال المسلمين ، ولا داعي لإثارتها وإثارة النزاع حولها . ما الفائدة للمسلمين اليوم أن نطرح مسألة : من هو الخليفة الأوّل ؟ إنّما المفيد لحال المسلمين اليوم هو أن نعرف المصادر التي يجب أن نأخذ منها أحكام ديننا » .
من هنا كان السيّد يؤكّد على حديث الثقلين : « إنّي تارك فيكم الثقلين ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً : كتاب الله وعترتي . وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض » .
ولا يكاد يمرّ شهر على دروسه دون أن يذكر في مناسبة هذا الحديث .
وكان هذا أُسلوب السيّد المرحوم عبدالحسين شرف الدين أيضاً . فقد كان يؤكّد في حواره مع شيخ الأزهر الفقيد الشيخ سليم البشري أنّ دليلنا على أخذ السنّة من طريق أهل البيت هو حديث الثقلين .
وسمعت أنّ الامام البروجردي أهدى شيخ الأزهر الراحل عبد المجيد سليم كتاب « المبسوط » للشيخ الطوسي ، وكان لهذا الكتاب أثر كبير على الشيخ عبد المجيد ، وروي عنه في أواخر حياته قوله : « سواء حين كنت مفتياً لمصر ، أو حين أصبحت ـ بعد ذلك ـ عضواً في لجنة إفتاء الأزهر ، متى ما تصدّيت لمعالجة مسألة للإفتاء ، كنت أُراجع كتاب المبسوط » .
وكان هذا الشيخ المبجّل من مؤسّسي « دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة » وعضواً لجماعة التقريب .

←

كانت للامام البروجردي إحاطة تامّة وإلمام واسع بالكتب والآراء الفقهيّة لعلماء أهل السنّة، وكان اهتمامه بهذا الجانب مشهوداً منذ أوائل شروعه بالدراسة والبحث في مستهلّ حياته العلميّة، وكان يتابعه باستمرار. ولم يقتصر هذا الاهتمام وهذه الإحاطة على معرفة فتاوى رؤساء المذاهب الأربعة «الشافعي، والحنبلي، والحنفي، والمالكي»، وإنّما كان يشمل أيضاً آراء الصحابة وسائر فقهاء ومفكّري أهل السنّة، من أمثال: ليث(١)، والثوري(٢)، والأوزاعي(٣)،

← وكان السيّد الأُستاذ يتحدّث عن شيوخ الأزهر ويتحدّث عن الشيخ محمّد عبده وغيرهم من علماء أهل السنّة بتقدير وإجلال، كما أنّه كان يراجع دائماً كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» لابن رشد الأندلسي باعتباره من أحسن الكتب في الفقه المقارن. وطالما رأيت الكتاب مفتوحاً أمامه على منضدته، وتعرّف طلّابه على هذا الكتاب عن طريقه.

وهذه هي خصائص المدرسة الإسلاميّة الأصليّة في التعامل العلمي بين العلماء، والحوار بين المذاهب. (حياة الإمام البروجردي: ١٨٣ ـ ١٨٨).

(١) أبو الحارث الليث بن سعد بن عبدالرحمان الفهمي، مولى خالد بن ثابت بن ظاعن: إمام حافظ. كان كبير الديار المصريّة ورئيسها حديثاً وفقهاً. أصله من خراسان، ومولده سنة ٩٤ هـ في قلقشندة، ووفاته عام ١٧٥ هـ في القاهرة، وأخباره كثيرة، وله تصانيف. (التاريخ الكبير ٧: ٢٤٦ ـ ٢٤٧، صفوة الصفوة ٤: ٣٠٩ ـ ٣١٣، سير أعلام النبلاء ٨: ١٣٦ ـ ١٦٣).

(٢) أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري المضري: سيّد علماء زمانه في علوم الدين. ولد سنة ٩٧ هـ في الكوفة، ونشأ بها، وطلب منه المنصور أن يلي القضاء، فأبى عليه، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ، فسكن مكّة والمدينة، ثمّ طلبه المهدي فتوارى، وانتقل إلى البصرة، فمات فيها مستخفياً. من كتبه: الجامع الصغير، الجامع الكبير، كتاب الفرائض. (تاريخ بغداد ٩: ١٥١ ـ ١٧٤، تذكرة الحفّاظ ١: ٢٠٣ ـ ٢٠٧، طبقات الحفّاظ: ٨٨ ـ ٨٩).

(٣) أبو عمرو عبدالرحمان بن عمرو بن يُحمَد الأوزاعي: شيخ الإسلام وعالم أهل الشام في زمانه. ولد في بعلبك عام ٨٨ هـ، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت، وتوفّي بها سنة ١٥٧ هـ. عرض عليه القضاء فامتنع، وكانت الفتيا تدور في الأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن ←

والظاهري[١]، وغيرهم.[٢].

وقد توصّل سماحته على أثر ما قام به من دراسات وبحوث في هذا المجال إلى أنّ الاطّلاع على محتوى الروايات والفتاوى الشائعة لدى أهل السنّة في عهد الأئمّة المعصومين عليهم السلام، يجعل الاطّلاع على محتوى ومقاصد روايات وأقوال الأئمّة المعصومين عليهم السلام أسهل وأفضل وأدقّ. وهناك جملة مشهورة منقولة عنه، وهي قوله: «إنّ الفقه الشيعي يقع في هامش فقه أهل السنّة»[٣]؛ وذلك لأنّ الشيعة لم يكن الحكم بأيديهم، وإنّما كان في يد بني العبّاس لمدّة طويلة، وأكثر فتاوى أهل السنّة كانت شائعة بين الناس على العكس من الشيعة.

وعلى أساس ذلك، فإنّ المحدّثين وأصحاب الأئمّة عليهم السلام كانوا يسألون الأئمّة في ضوء الأوضاع السائدة في المجتمع آنذاك، وكان الأئمّة يجيبونهم في ضوء ذلك المعنى أيضاً.

وبعبارة أُخرى: أنّ الفقه الشيعي يعوّل على فقه أهل السنّة؛ وذلك لأنّ

← هشام، وله مؤلّفات، منها: كتاب السنن في الفقه، والمسائل. (الطبقات لابن سعد ٧: ٤٨٨، المعرفة والتاريخ ٢: ٣٩٠ ـ ٣٩٧ و٤٠٨ ـ ٤١٠، حلية الأولياء ٦: ١٣٥ ـ ١٤٩).

(١) أبو سليمان داود بن علي بن خلف البغدادي الأصفهاني، مولى المهدي العبّاسي: رئيس أهل الظاهر. كان أوّل من جهر بالأخذ بظاهر الكتاب والسنّة والإعراض عن التأويل والرأي والقياس، كما قيل. ولد في الكوفة سنة ٢٠١ هـ، وسكن بغداد، وانتهت إليه رئاسة أهل الظاهر فيها. قال ثعلب: «كان عقل داود أكبر من علمه»، وله تصانيف كثيرة. توفّي في بغداد عام ٢٧٠ هـ. (المنتظم ١٢: ٢٣٥ ـ ٢٣٨، ميزان الاعتدال ٢: ١٤ ـ ١٦، تاريخ أصبهان ١: ٣٦٧).

(٢) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٢٧، نقلاً عن آية الله الصافي الگلپايگاني.

(٣) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ٨٤.

أجوبة الأئمّة عليهم السلام كانت تأخذ بنظر الاعتبار الفتاوى السائدة في ذلك الوقت.

وانطلاقاً من ذلك كان الامام البروجردي يعتبر البحث والدراسة في كتب وفتاوى أهل السُنّة من المقدّمات اللازمة لفهم الفقه والاجتهاد، وكان هو نفسه مجهّزاً بهذه الخبرة على أعلى المستويات.

التفكير الإيجابي

هذه الإحاطة وهذا الإلمام جعله في مكانة رفيعة، بحيث إنّه لم يكن ينظر إلى آراء ونظريات أهل السنّة نظرة سلبيّة، وإنّما كان أكثر ما يسعى إلى التوصّل إلى أدلّتهم، ودراسة الموضوع والمسألة، والتوصّل إلى جذورها بشكل صحيح.

نذكر على سبيل المثال: أنّه يرى وجوب أداء الصلاة في أوّل وقتها، وهذا ما يلتزم به أهل السنّة غالباً، ولا يرى جواز تأخيرها عن أوّل الوقت من غير عذر. وهناك طبعاً من علماء الشيعة من يذهب إلى هذا الرأي، كالشيخ الطوسي، خلافاً للشيعة الذين يرون جواز ذلك[١].

وكان يقول في هذا الجانب:

«جاءت فتوى أهل السنّة بناءً على أنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان إمام الجماعة، وإمام الجماعة ينبغي عليه الحضور في وقت معيّن، وقد اختار رسول الله أوّل الوقت، وقد اتّخذ الصحابة والتابعون هذا العمل النبوي ملاكاً، وهو ما انعكس لاحقاً في مذاهب أهل السنّة.. في حين أنّه (صلوات الله عليه) كان أحياناً في حال الاختيار لا يلتزم بأوّل الوقت، وهناك من أهل البيت من صرّح بهذا. وقد

(١) راجع المسألة في: المقنعة: ٩٤، الجواهر (طبعة جماعة المدرّسين بقم) ٧: ١٢٦ و٢١٧ وما بعدها. ولاحظ المبسوط ١: ٧٢.

جُعل هذا الرأي ملاكاً للفتوى عند الشيعة».

وقد حاول الأُستاذ من خلال هذا التوجيه تفنيد صحّة الوهم الذي يصوّر بأن أهل السنّة بدّلوا الأحكام عمداً[١].

عاشق الوحدة الإسلاميّة

بهذا التوجّه الفكري أبدى الامام البروجردي منذ بداية مرجعيّته اهتماماً أكثر بقضيّة «الوحدة بين المذاهب». وكان على الدوام يتابع هذه القضيّة الخطيرة بالنسبة إلى العالم الإسلامي، وكان يعتقد بأنّ معالجة هذه القضيّة من الواجبات الحيويّة لكلّ عالم شيعي، ويتعيّن عليه السعي لتحقيقها. حتّى إنّه من المعروف عنه بأنّه في الأيّام الأخيرة من عمره المبارك كان أحياناً يُغمى عليه، وعندما كان يفيق من الإغماء يسأل عن هذه القضيّة، ويقول:

«هل ذهب الشيخ محمّد تقي إلى مصر أو لا؟»، وذلك لأنّ الشيخ كان مندوبه في الجامع الأزهر ومجمع التقريب في مصر، وقد قدم آنذاك إلى إيران لعدّة أيّام كان يقضيها في قم[٢].

كتب الشهيد مرتضى المطهّري مقالة تحت عنوان: «خصائص ومنجزات الامام البروجردي»، جاء في قسمٍ منها ما يلي:

إحدى الخصائص التي كانت يتّصف بها سماحته اهتمامه ورغبته الوافرة بقضيّة الوحدة الإسلاميّة وحسن التفاهم والتقريب بين المذاهب الإسلاميّة. ونظراً لما كان لهذا الرجل من اطّلاع على تاريخ الإسلام والمذاهب الإسلاميّة، فقد كان

---

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ٨٨.

(٢) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٧١ و٢٣٣.

يدرك بأنّ سياسة الحكّام السابقين كان لها تأثيرها إلى حدّ بعيد في إثارة الفرقة وتأجيج الاختلاف. وكان يعي أيضاً بأنّ السياسات الاستعماريّة في العصر الراهن تستغلّ هذه التفرقة أقصى درجات الاستغلال، بل وتعمل أيضاً على إضرام نيرانها وصبّ الزيت عليها. وكان من الواضح لديه أيضاً بأنّ ابتعاد الشيعة عن سائر الفرق جعل تلك الفرق لا تعترف بالشيعة، وتخلق عنها تصوّرات بعيدة عن الحقيقة.

وانطلاقاً من كلّ ذلك كانت لديه رغبة عميقة لإيجاد نوع من حسن التفاهم بين الشيعة والسنّة؛ وذلك من أجل تحقيق الوحدة الإسلاميّة التي تعدّ بمثابة هدف عظيم لهذا الدين المقدّس.

هذا من جهة، ومن جهة أُخرى لتبيين حقيقة الشيعة وفقه الشيعة ومعارف الشيعة، كما هي في الواقع للمجتمعات السنّيّة التي تؤلّف أغلبيّة المسلمين.

ومن حسن الصدف أنّه قبل سنوات من تصدّيه لزمام الزعامة والرئاسة حيث كان لا يزال في مدينة بروجرد، تمّ تأسيس «دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة» بجهود جماعة من المثقّفين الشيعة والسنّة.

وقد تعاون وعاضد هذه الدار وهذه الفكرة في عهد زعامته بأقصى حدّ ممكن. فقد أُقيمت بعد عدّة قرون أوّل علاقة صداقة بين زعيم روحي شيعي وزعيم روحي سنّي، وهو الشيخ عبد المجيد سليم[1]، ومن بعد وفاته بثلاث

(١) عبدالمجيد سليم المصري الحنفي: مفتي الديار المصرية. ولد عام ١٨٨٢م، وتخرّج من الأزهر عام ١٩٠٨م حاملاً العالمية من الدرجة الأُولى، وأخذ عن الشيخ محمّد عبده، وشغل وظائف التدريس والقضاء والإفتاء، وولّي شيخة الأزهر مرّتين، والإفتاء نحو عشرين عاماً، وله من الفتاوى ما يربو على خمسة آلاف فتوى. وركّز السنوات الأخيرة من عمره في الاشتغال بجماعة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة. توفّي في القاهرة عام ١٩٥٤م. (الأزهر في ألف عام ١: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، الأعلام للزركلي ٤: ١٤٩).

سنوات، أُقيمت تلك العلاقة مع الشيخ محمود شلتوت المفتي المعاصر ورئيس جامع الأزهر، وتمّ خلال ذلك تبادل الرسائل بينهما..

ينبغي القول: بأنّ سماحته كان يبدي رغبة فائقة لمثل هذه العلاقة، بل ولابدّ من القول: بأنّه كان مغرماً ومولعاً بهذه القضيّة وكان قلبه ينبض بها ولها.

وممّا يدعو إلى العجب أنّني سمعت من مصدرين موثّقين بأنّ العارض القلبي الأخير الذي انتهى به إلى الوفاة، جاء بعد عارض قلبي أوّل أصابه، وكان خلال ذلك فاقداً للوعي مدّة من الزمن، ثمّ أفاق بعد ذلك، وقبل أن يتنبّه إلى وضعه أو يتحدّث عن حالته، أثار قضيّة التقريب والوحدة الإسلاميّة قائلاً: «لقد كانت لي أمال في هذا المجال...»[1].

دعمه لدار التقريب

في عام ١٣٢٧هـ.ش تمّ تأسيس «دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة» باقتراح وعزيمة المفكّر القدير المرحوم الشيخ محمّد تقي القمّي وبالتعاون مع مشاهير علماء الجامع الأزهر وبعض علماء الدبن الشسعة.

ورغم أنّ الامام البروجردي لم يكن في عداد مؤسّسي هذه الدار، بيد أنّه هبّ لدعمها دعماً جادّاً منذ بداية عملها، ولم يتوان عن دعمها حتّى بالمال. وفضلاً عن علاقته بشيخ الأزهر آنذاك عبد المجيد سليم ومن بعده الشيخ محمود شلتوت عن طريق المكاتبات والرسائل، عمل أيضاً على ترسيخ علاقة العالَم

(١) شش مقالة (ستّ مقالات) للمطهّري: ٢٦٠، تكامل اجتماعي إنسان (التكامل الاجتماعي للإنسان): ٢٠٤.

الشيعي بالعالَم السنّي إلى أقصى مدىً ممكن، وحوّل الكثير من مواطن سوء الفهم وسوء الظنّ إلى محبّة ومودّة(١).

ونتيجة لهذه الدراية وحسن التدبير وهذا النمط من التفكير الذي كان يتّصف به الامام البروجردي، فقد بلغت الأُمور حدّاً بحيث أصدر شيخ الجامع الأزهر في مصر الشيخ محمود شلتوت فتواه التاريخيّة ـ حسبما قال الشهيد المطهّري ـ وكانت تلك أوّل مرّة يعترف فيها عالم سنّي بالمذهب الشيعي رسمياً، ويجعل له كرسياً مستقلاً للتدريس في جامعة الأزهر(٢).

وللاطّلاع على متانة هذه العلاقات والتأثير الإيجابي والبنّاء للامام البروجردي فيه، نستعرض في ما يلي نصّ رسالتين تاريخيّتين، بعث إحداهما إليه الشيخ عبد المجيد سليم، والأُخرى الشيخ محمود شلتوت:

الرسالة الأُولى من الشيخ عبد المجيد سليم

وهذا نصّها:

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

حضرة آية الله السيّد الجليل الحاجّ حسين البروجردي حفظه الله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد: فقد أبلغني حضرة صاحب الفضيلة الأُستاذ الشيخ محمّد تقي

---

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

(٢) شش مقالة (ستّ مقالات) للمطهّري: ٢٦١، چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٥٩، نقلاً عن آية الله فاضل اللنكراني.

القمّي، الأمين العامّ لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة نصّ رسالتكم الشفهيّة التي رأيتم فضيلتكم إبلاغها إليّ.

تفضّلتم فتحدّثتم إليه عن إعجابكم بما أُؤدّيه من جهود في خدمة الإسلام والمسلمين، وعن جهود جماعة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، وما لها من أثر في جمع كلمة المسلمين، وما تستطيع أن تفعله وترشد إليه ممّا يصلح به الفساد الذي دسّه ذوو الأغراض.

والله يعلم أنّ هذه هي أعزّ آمالي التي أعمل لها جاهداً طول حياتي، وأسأل الله تعالى أن يحقّقها وأن يؤيّد كلّ ساعٍ في سبيلها. وإنّي لأشكر لسماحتكم هذه الثقة في شخصي وهذا الاعتداد بجهدي، وأُنوّه بما أعرفه فيكم من مشاطرتي هذا الجهاد في سبيل الله، وأنّكم لا تفتأون تعملون على إصلاح شأن الأُمّة بما لكم من العلم والجاه والنفوذ في إيران وغير إيران، وأنّ فكرة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة تلقىٰ منكم عناية بالغة ومؤازرة قويّة في شتّىٰ المواقف والمناسبات؛ لأنّكم ـ كما هو المنتظر من مثلكم في علمه وتقواه ورجاحة عقله ـ قد أدركتم ما لها من جدوىٰ في إعلاء شأن المسلمين وتقوية شوكتهم وإحلالهم المحلّ اللائق بهم من العزّة الكرامة: **﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾**[١].

إنّ أهل العلم ـ يا سماحة السيّد الجليل ـ هم حملة أمانة الإسلام والقائمون بالقسط مع الله وملائكته بشهادة القرآن، وإنّ عليهم لهذا لواجباً عظيماً، يجب أن يتعاونوا على أدائه، وأن يتبادلوا الرأي والمشورة في شأنه على بعد البلاد واختلاف الشعوب، ولقد أتىٰ على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه هدفاً لكثير

(١) سورة «المنافقون» ٦٣: ٨.

من الدسائس الفكريّة التي يراد بها زلزلتهم عن الحقّ، واجتذابهم إلى الباطل، وشغلهم عن الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وتفريقهم بالخلاف والجدال تفريقاً يقضي عليهم جميعاً. ولم تزل آثار هذه الدسائس تغشي العقول وتشغل القلوب وتحول بين كثير من الناس وما ينبغي أن يكونوا عليه من فهم صحيح للدين وإدراك لأسراره وتفانٍ في سبيل إعلاء كلمته.

فأوّل واجب علينا معشر العلماء ـ لا فرق بين سنيّين منّا وشيعيّين ـ أن ننفي من أذهان الناس ما علق بها من ذلك، وأن ننشر صفحات الإسلام الناصعة ومبادئه القويمة وشريعته الحنيفيّة السمحة نشراً يبصّر الناس بما فيها من هدىً ورشاد، ويأخذهم بما لها من قوّة وجمال، ويجعلهم يدينون بها عن فهم وحبّ، لا عن وراثة وتقليد، فإنّ المرء إذا فهم أحبّ، وإذا أحبّ آمن إيماناً تسهل معه التضحية، ولا يقف في سبيله شيء من أعراض هذه الدنيا الفانية.

وقد علمت أخيراً بنبأ وفاة العالم الجليل السيّد محسن الأمين العاملي، فأسفت لهذا النبأ؛ لما بلغني عنه ﷺ من علمه وإخلاصه وجهاده في سبيل دينه وأُمّته، وإنّي أبعث إلى سماحتكم بخالص عزائي لإخواننا الشيعة الإماميّة في شخصكم، وأسأل الله الكريم أن يتغمّد الفقيد برحمته ورضوانه، وأن يجزينا وإيّاكم عن مصابه جزاء الصابرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جمادى الثانية / ١٣٧١هـ

عبد المجيد سليم ـ الجامع الأزهر ـ القاهرة»[١].

---

(١) مجلّة «رسالة الإسلام» ٤: ٢١٨ ـ ٢٢٠.

الرسالة الثانية من الشيخ محمود شلتوت

وهذا نصّها:

«**بسم الله الرحمٰن الرحيم**

السيّد صاحب السماحة الأخ الجليل الإمام البروجردي (قم ـ إيران):

السلام عليكم ورحمة الله.

أمّا بعد: فإنّي أبدأ بالسؤال عن صحّة السيّد الأخ الجليل الغالية والدعاء بأن يكون سماحته دائماً مصدر بركات للمسلمين ووحدة كلمتهم، أطال الله عمره وأعزّ بالصالحات نصره.

وانتهز الفرصة السانحة بسفر سماحة أخي العلّامة الجليل الأُستاذ القمّي (أيّده الله في جهاده المشكور) لأكتب إلى سماحتكم مقدّراً جهودكم سائلاً الله جلّت قدرته أن يحقّق ما ترجونه من الخير للمسلمين، وأن يوفّق مساعيكم الراشدة في سبيل جمع كلمتهم وتأليف قلوبهم، وأُبشّركم بأنّ خطواتنا في سبيل التقريب ـ تلك الخطوات التي أعرف أنّكم تؤيّدونها كلّ التأييد وتولونها أعظم العنابة والاهتمام ـ تسير سيراً موفّقاً بتيسير من عند الله تعالىٰ وبصالح دعواتكم، وأنّ النخبة المصطفاة من رجالنا في الأزهر وإخواننا الذين جاهدوا في التقريب حقّ الجهاد يعاونوننا عن إيمان صادق، ويقومون بما يجب عليهم لدينهم وللرسالة الإنسانيّة الرفيعة التي اعتنقوها.

وإنّي لأرجو أن يعود السيّد الأخ الأعزّ سماحة الأُستاذ القمّي إلينا بأسرع وقت؛ لنسعد بأخباركم السارّة إن شاء الله، ولنتعرّف إلى آرائكم السديدة في تحقيق أمانينا المشتركة، وقد أوضحت لسماحته كثيراً من الأُمور، ورجوت منه

أن يبلغكم تفاصيلها.

والله المسؤول أن يجمع بيننا في رضاه، وأن يديم ربط قلوبنا للعمل في سبيله، إنّه سميع الدعاء لطيف لما يشاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٤ / ذو القعدة / ١٣٧٩ هـ

١٩ / ٥ / ١٩٦٠م

شيخ الجامع الأزهر ـ محمود شلتوت»[١].

وكما يفهم من نصّ هاتين الرسالتين فإنّ الزعماء الدينيّين لأهل السنّة خاصّة رؤساء جامعة الأزهر كانوا يرون للامام البروجردي عزّة وعظمة واقتداراً، وكانوا ينظرون إليه على الدوام بعين الاحترام.

فقد نُقل عن المرحوم الشيخ محمّد تقي القمّي قوله:

«عندما كنت أنقل رسالة الامام البروجردي إلى الشيخ عبد المجيد سليم الرئيس الأسبق لجامعة الأزهر، كان ينهض من مكانه ويأخذ رسالة الامام البروجردي ويقبّلها. وكان الرئيس الآخر لجامعة الأزهر يقف كذلك عند قراءة رسالة الامام البروجردي إليه، ويتناولها باحترام»[٢].

لقد كان الامام البروجردي يعرب عن عظيم ارتياحه وأمله للازدهار

---

(١) ملفّ التقريب: ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٣٥ ـ ١٣٦، نقلاً عن آية الله لطف الله الصافي الگلپايگاني.

والنمو الذي كان يحصل في شجرة وحدة المذاهب الإسلاميّة والتقارب بينها. وكان يشير إلى هذه القضيّة في درسه بين الحين والآخر كلّما عرضت مناسبة للحديث عن ذلك، وكان يبدي سروره لذلك التقدّم ويقول:

«إنّ التقريب في حالة تقدّم، ونشكر الله على أن كانت لنا مشاركة في ذلك»[1].

منهجه المقترح في التقريب

يمكن عرض خلاصة للمنهج الذي اقترحه الامام البروجردي للتوحيد بين المذاهب الإسلاميّة في أنّ الاختلاف بين الشيعة والسنّة يكمن في موضوعين أساسيّين: أحدهما: خلافة الرسول وقيادة وإمامة المسلمين، والآخر: إلى من ينبغي الرجوع للعمل بالأحكام بعد وفاة الرسول، ومن أيّ مرجع يجب أن يتلقّوا الأحكام والتكاليف اليوميّة؟

أوّلاً: البحث في الموضوع الأوّل بحث تاريخي. وهو قد مضى وانقضى، ولا داعي لإثارته من جديد. وفضلاً عن ذلك فقد كانت إثارة وبحث مثل هذه القضايا سبباً للمتاعب والاختلاف، ومنفذاً يستغلّه الأعداء.

ثانياً: وحتّى لو تمخّضت عن ذلك نتيجة علميّة أو عقائديّة، فإنّ هذه النتيجة لأيّ من الشيعة والسنّة محترمة بذاتها، ولا علاقة لها بالطرف الآخر.

وعلى هذا الأساس فإنّ الشيء الذي يحظى بأهميّة فائقة في عالم اليوم

---

(١) المصدر السابق: ٢٣٢.

ويمكن أن يكون قاسماً مشتركاً بين الشيعة والسنّة، من بعد كتاب الله، محوريّة أهل البيت استناداً إلى حديث الثقلين الذي روي عن طريق الفريقين بسلسلة صحيحة، وهو ما يتّفق عليه الجميع[١].

وقد عرض سماحة آية الله الشيخ هاشمي الرفسنجاني في مؤتمر تكريم الامام البروجردي، والشيخ شلتوت ـ في سياق الكلمة التي القاها في ذلك المؤتمر ـ المنهج التقريبي الذي نادى به الامام البروجردي بقوله:

«كان الامام البروجردي يقول في الدرس: اختلافنا مع أهل السنّة يتمثّل في جانبين: الأوّل: قضيّة الخلافة، والثاني: حجّيّة أقوال الأئمّة. والشيء المهمّ بالنسبة إلينا هو قضيّة حجّيّة الأقوال؛ إذ أنّ قضيّة الخلافة قضيّة تاريخيّة ولا يمكن أن تتكرّر اليوم، فيجب البحث مع أهل السنّة حول حجّيّة أقوال الأئمّة؛ لما لهذه القضيّة من تأثير في زماننا»[٢].

لم تكن الغاية من التقريب والوحدة من وجهة نظر الامام البروجردي ضمّ أو ذوبان فئة في فئة وجعلها كلّها مجموعة أو فرقة واحدة، بل كان يؤكّد بأنّه يمكن من خلال التركيز على النقاط المشتركة بين جميع الفرق، إيجاد الأُلفة والمحبّة والمودّة والأخلاص بينها؛ لتتحوّل كلّ هذه الفرق إلى يد واحدة ضدّ أعداء الإسلام.

وكان يرى بأنّ تحقيق هذا الهدف المقدّس عن طريق التمسّك بحديث

(١) للاطّلاع على مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، راجع المصدر السابق، لقاءات مع آيات الله: الاشتهاردي، السبحاني، وغيرهما.

(٢) روزنامه حوزة (صحيفة الحوزة)، عدد خاصّ من صحيفة «جمهوري إسلامي»، الاثنين ١٣٧٩/١١/٣هـ.ش / صفحة: ٨.

الثقلين والتعريف بالأئمّة المعصومين باعتبارهم المصداق البارز لأهل البيت، هو أفضل السبل وأسهلها وأقلّها مؤونة وأكثرها عقلانيّة، ويقول:

«لو اكتفينا نحن الشيعة بهذا الجانب الذي يحتاجه المسلمون اليوم، وبيّنا مرادنا لأهل السنّة بشكل معقول لوصلنا إلى النتيجة المطلوبة، ولتمكّنّا من إقناعهم إلى حدٍّ ما»[١].

كان الامام البروجردي يتحرّى ويتابع أيضاً هذه القضيّة المصيريّة على الصعيد العملي بشكل جادّ. فقد أقدم على إجراء أساسي، وهو أنّه أوعز بجمع طرق وسلسلة أسناد حديث الثقلين.

وقام بهذه المهمّة المرحوم آية الله الشيخ قوام الدين الوشنوي، وطبع هذا التحقيق من قبل دار التقريب في مصر.

وقد بذل مساعيه من أجل أن يتعرّف كلّ من علماء الشيعة والسنّة على الروايات والأُصول والأدلّة الفقهيّة للطرف الآخر، حتّى أدّت الجهود الخيّرة لهذا الفقيه العتيد إلى أن يتعرّف الكثير من الأعضاء والشخصيات البارزة في دار التقريب على أُصول وفقه الشيعة، وحتّى أنّهم أفتوا في بعض الحالات وفقاً للفقه الشيعي.

وبعد ذلك طُبع كتاب «المختصر النافع» للعلّامة الحلّي[٢] على نفقة

---

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ٩١.

(٢) أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الأسدي المعروف بالعلّامة الحلّي: من أشهر علماء الإماميّة. ولد سنة ٦٤٨ هـ، ودرس عند والده، وخاله المحقّق الحلّي، ولازم الفيلسوف نصير الدين الطوسي مدّة، وبرع في العلوم، وأصبح علّامة وقته وصاحب التحقيق والتدقيق. كان آية في الذكاد واستيعاب العلوم، حَسن الأخلاق. أحدث ←

وإشراف وزارة الأوقاف في مصر، وكتب مقدّمته وزير الأوقاف آنذاك الشيخ أحمد حسن الباقوري. وقد سافر هذا الرجل إلى إيران، والتقى هناك بالامام البروجردي، وتأثّر جدّاً بشخصيّته المعنويّة. وهذا من الأُمور التي نادراً ما تحصل في تاريخ هاتين الفرقتين[١].

في العام الذي بعث فيه ملك المملكة العربيّة السعوديّة آنذاك إلى الامام البروجردي بهديّة، وكانت عبارة عن مصحف وقطعة من ستار الكعبة، وطلب مقابلته، رفض سماحته تلك المقابلة للأسباب التي سبق ذكرها، لكنّه انتهز تلك الفرصة لمواصلة عمله في مجال التقريب، فكتب له رسالة شكر، ضمّنها حديثاً مسهباً عن الإمام الصادق عليه السلام يشمل ما يقارب أربع مائة حكم من الأحكام المتعلّقة بمناسك الحجّ[٢].

وهذا الحديث منقول عن طريق أهل السنّة أيضاً، وورد في كتب الصحاح الستّة وغيرها.

وكان الهدف الذي يرمي إليه سماحته من وراء هذا العمل هو أن يبيّن

← تصانيفه ومناظراته ضجّة، كان من آثارها تشيّع السلطان محمّد خدا بنده أُولجايتو وعدد من العلماء والأمراء. تتلمذ على يده جماعة من الأعلام، كولده فخر المحقّقين، ومهنّا بن سنان الحسيني المدني، وتاج الدين محمّد بن معية الحسني، وقطب الدين الرازي، وغيرهم. له أكثر من مائة كتاب، منها: تذكرة الفقهاء، مختلف الشيعة، إرشاد الأذهان، التبصرة، التحرير، نهج الإيمان في تفسير القرآن. توفّي في الحلّة سنة ٧٢٦هـ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف، فدفن فيها. (لسان الميزان ٢: ٢٦٠ و٣١٧، جامع الرواة ١: ٢٣٠، أمل الآمل ٢: ٨١ ـ ٨٥).

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ٩١.

(٢) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و٤٤ / صفحة: ٨٣، نقلاً عن آية الله السيّد جعفر الأحمدي.

للشخصيات العلميّة والدينيّة في العالم الإسلامي إمكانيّة إقامة مؤتمر الحجّ العظيم على أساس الروايات والأُسس المشتركة والمقبولة لدى كلّ من الشيعة وأهل السنّة على حدٍّ سواء، بحيث يمكن توظيف هذه الشعيرة التوحيديّة لصالح العالم الإسلامي على أوسع وأفضل شكل ممكن.

وقد حظيت تلك الرسالة في تلك الأيّام باستقبال الأوساط العلميّة والشخصيات الدينيّة في العالم الإسلامي، ومن جملة ذلك أنّ نصّها الكامل قد طُبع في مجلّة «رسالة الإسلام» التابعة لدار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة(*)، وفي

(*) وها هو نصّها:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم

سلام الله عليكم ورحمته:

أمّا بعد: فقد بلغنا كتابكم مع السيّد يوسف بوعلي، ومعه حقيبة كبيرة، ذكرتم أنّها تحتوي على خمس عشرة نسخة من القرآن الكريم، وعلى قطع من حزام ستار الكعبة الشريفة، وعلى... وإنّ جلالة الملك أمر بإرسالها إليّ، فتحيّرت في الأمر؛ لأنّ سيرتي عدم قبول الهدايا من الملوك والعظماء، ولكن اشتمال هذه الهديّة على القرآن الكريم والقطع من حزام ستار الكعبة الشريفة ألزمني قبولها، وأرسلت الحقيبة بما بقي فيها إلى جنابكم هديّة منّي إلى شخصكم؛ لأكون على ذكر منكم في أوقات الصلوات والدعوات، ولمّا كان أمر الحجّ في هذه السنين بيد جلالة الملك أرسلت حديثاً مطوّلاً في صفّة حجّ رسول الله ﷺ، رواه مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه، ويستفاد منه أكثر أحكام الحجّ، إن لم يكن كلّها، لترسله إلى جلالة الملك هديّة منّي إليه، وتبلغه سلامي وتحيّاتي. وأسأل الله عزّ شأنه أن يؤلّف بين قلوب المسلمين، ويجعلهم يداً واحدة على من سواهم، ويوجّههم إلى أن يعملوا بقول الله تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران ٣: ١٠٣]، وأن يجتنبوا التدابر والتباغض واتّباع الشهوات الموجبة لافتراق الكلمة، وأن يلتزموا بقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة النساء ٤: ٩٤].

والسلام عليكم ورحمة الله». (مجلّة رسالة الإسلام ٨: ١٠٦ ـ ١٠٧).

صحف ومجلّات تصدر في المملكة العربيّة السعوديّة.

وفي ذلك العام جلب بعض علماء قم الذين كانوا هناك لأداء فريضة الحجّ تلك الصحف معهم إلى إيران(١).

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و ٤٤ / صفحة: ٨٣، ، زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ٣٧٧، نقلاً عن آية الله واعظ زاده الخراساني.

الفصل الخامس :

إنجازاته العمرانيّة والثقافيّة

إضافة إلى اهتمام الامام البروجردي بالتدريس، والبحث، وإعداد وتربية طلبة بارزين في حقل العلوم الدينيّة، وغير ذلك من الاهتمامات، فقد ركّز مساعيه أيضاً في المجالات الثقافيّة والعمرانيّة، حيث حصلت في مدّة تصدّيه للمرجعيّة تغييرات هائلة في الحوزة العلميّة في قم بين الطلبة والفضلاء من حيث الاصطلاحات والبناء الهيكلي والفكري، وخرجت الحوزة ـ بعد تيقّظها ـ من حالة الضياع والسُبات الذي كانت تغطّ فيه، ودخلت إلى ميدان الحركة والتماسك والقوّة، وتبدّلت أجواؤها على الصعيد الكيفي تبدّلاً كلّياً.

نعرض في هذا الفصل لمحة إجماليّة عن الأعمال الثقافيّة والعمرانيّة التي حصلت تحت إشرافه وبإدارته ودعمه في الحوزة العلميّة وفي غيرها من ميادين الحياة الأُخرى.

أ ـ الانجازات الثقافيّة والدينيّة:

١ ـ إصدار أوّل مجلّة في الحوزة العلميّة.

صدرت في عام ١٣٣٨هـ.ش أوّل مجلّة في الحوزة العلميّة بدعم مالي ومعنوي من قبل الامام البروجردي. وقام بإعداد هذه المجلّة ونشرها لفيف من الشباب الأفاضل، نذكر منهم السيّد موسى الصدر وآخرين. وقد جاءت هذه الخطوة في ظروف كانت فيها بعض الأوساط تنظر إلى صرف مطالعة طالب العلوم

الدينيّة للصُحف على أنّه أمر قبيح ويتعارض مع الدين! فما بالك لو تكفّل جماعة من طلّاب العلوم الدينيّة بإصدار مجلّة؟!

ومن المؤكّد أنّ مثل هذا العمل الثقافي كان سيواجه الكثير من العراقيل والمعوّقات لولا دعمه. وعندما وضعوا بين يديه العدد الأوّل من تلك المجلّة أعرب عن سروره، وقال:

«منذ أن قدمتُ إلى قم ونهضت بهذه المسؤوليّة كنت أتمنّى أن تكون للحوزة العلميّة وبعيداً عن العناء والضجيج مجلّة رزينة وذات محتويات قيّمة، فجامعة الأزهر في مصر لها مجلّة يكتب فيها علماء وأفاضل الأزهر مقالات، وهي توزّع في كلّ أرجاء العالم الإسلامي، فلماذا لا تكون لدينا نحن مجلّة أيضاً[1]؟!».

لقد أحدث الدعم والتشجيع المتواصل الذي كان يبديه الامام البروجردي تحوّلاً باهراً في الحوزة العلميّة في هذا المجال؛ إذ كان هذا الإنجاز خلال مدّة وجيزة بمثابة مدعاة لتوفير الأجواء لصدور مجلّات جديد، مثل: «مكتب تشيّع، مكتب قرآن، مكتب أنبياء، حكمت، بعثت»، وما شابه ذلك، حيث بدأت كلّ واحدة من هذه المجلّات تلي الأُخرى في الصدور ومزاولة نشاطها الثقافي في الحوزة العلميّة في قم.

٢ ـ إيفاد الدُعاة إلى خارج البلاد.

يُعد هذا العمل من إنجازات الامام البروجردي المهمّة والمؤثّرة جدّاً في

(١) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ٣٤٩.

خارج البلاد؛ إذ كان بمثابة مبادرة جديدة يندر مثلها. ومع أنّ مراجع آخرين قبله سبق أن أوفدوا دعاة إلى الدول الأُخرى ـ مثلما فعل المرحوم آية الله السيّد أبو الحسن الأصفهاني الذي أرسل دعاة ومبلّغين إلى بلاد كالهند وزنجبار ومسقط ـ ولكن ذلك الإيفاد كان محدوداً ومؤقّتاً وجرى في مناسبات معيّنة، في حين كرّس الامام البروجردي لهذا العمل إمكانات هائلة؛ إذ كان هناك مندوبون ثابتون عنه في البلدان الأُوربيّة، والأمريكيّة، والأفريقيّة، اتّخذوا لهم مراكز معتبرة مثل مسجد «هامبورغ» في ألمانيا، وبدأوا نشاطهم على أساس خطّة مبرمجة، فكانوا بمثابة حلقة وصل بين الامام البروجردي وعموم المسلمين في البلدان الأُخرى، وسائر المعاهد العلميّة والثقافيّة والدينيّة(١).

بُني في مدينة هامبورغ الألمانيّة مسجد ومركز ثقافي مهمّ بإيعاز من سماحة الامام البروجردي. وكان أوّل مندوب له أوفده إلى هناك هو آية الله الميرزا أبو القاسم المحمّدي الكلپايكاني، وفي أعقاب عودته إلى إيران تكفّل بمهمّة الدعوة والتبليغ من قِبله هناك المفكّر البارع الشيخ محمّد المحقّقي اللاهيجاني الذي كان يتقن اللغتين الإنجليزيّة والألمانيّة.

وكذا اضطلع بمهمّة الإدارة والتبليغ لعدّة سنوات في هذا المركز الديني والثقافي المهمّ آية الله الشهيد السيّد محمّد الحسيني البهشتي.

وفي أعقاب انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران تناوب على إدارة هذا المسجد والمركز مدّة من الزمن كلّ من حجج الإسلام: السيّد محمّد خاتمي،

---

(١) المصدر السابق: ٢٥٢.

ومحمّد مجتهد الشبستري، وعلي مقدّم، ومحمّد باقر الأنصاري.

ويمارس هذا المركز الديني والثقافي في هامبورغ نشاطه في الوقت الحاضر[١].

أمّا مندوب الامام البروجردي في الولايات المتّحدة الأمريكيّة فهو الحاجّ الشيخ مهدي الحائري نجل آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي. وبقي يمارس نشاطه في مدينة واشنطن إلى حين انتصار الثورة، وبالإضافة إلى تبليغ الدين بين المسلمين، كان يدرّس في الجامعات أيضاً، ويعقد مجالس للأسئلة والأجوبة. وفي الختام عاد إلى إيران، وأخذ يدرّس في جامعاتها إلى أن التحقت روحه ببارئها في عام ١٣٧٨هـ.ش[٢].

ومن المندوبين الآخرين للامام البروجردي في خارج إيران حجّة الإسلام والمسلمين السيّد محمّد تقي الطالقاني الذي كان مندوباً عنه في المملكة العربيّة السعوديّة. وبعد أن وصل إلى هناك بدأ ببذل جهود حثيثة إلى أن مهّد الأرضيّة لتأسيس مركز ديني في المدينة المنوّرة، إلّا أنّ هذا المشروع توقّف لأسباب معيّنة[٣].

٣ ـ اهتماماته بتأسيسه للمدارس الوطنيّة والدينيّة.

عندما أضحى أبناء الشعب الإيراني المسلم عرضة للهجمة الثقافيّة الغربيّة،

---

(١) المصدر السابق: ٧٢.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و ٤٤ / صفحة: ١١٧.

فقد بادر الامام البروجردي في أوّل الأمر إلى إرسال رسالة بواسطة المرحوم فلسفي إلى الشاه، طلب إليه فيها أن يصدر إلى وزير الثقافة أمراً بإدخال التعليم الديني ضمن الكتب والمناهج الدراسيّة للمرحلة الابتدائيّة[١]، ولكنّه بعدما وجد أنّ هذه الدعوة لا تلقى آذاناً صاغية، بادر من جانب آخر من خلال دعمه الشامل لـ«حملة المدارس الرسميّة» إلى تأسيس مدارس ابتدائيّة وثانويّة في قم وطهران وأماكن أُخرى بغية مجابهة هذه الهجمة الثقافيّة.

وقد كتب الشهيد المطهّري في هذا المجال ما يلي:

«من الخصال البارزة في شخصيّة الامام البروجردي التي تكشف عمّا كان يتّصف به من تنوّر فكري اهتمامه بتأسيس المدارس الابتدائيّة والثانويّة الحديثة التي تُدار تحت إشراف مدراء متديّنين، بحيث يتسنّى للتلاميذ أن يدرسوا فيها العلم والدين على حدٍّ سواء. فهو ما كان يريد للناس أن يكون تديّنهم من خلال الجهل والأُميّة، بل كان يرى بأنّ الناس لو تعلّموا وغدوا علماء وعُرض عليهم الدين بالشكل الصحيح لغدوا متعلّمين ومتديّنين في الوقت نفسه. وحسب علمي أنّه أذن بإنفاق مبالغ طائلة من سهم الإمام لتأسيس مدارس ابتدائيّة وثانويّة. فقد قرأت في دفتر حسابات مدرسة كمال الواقعة في حي نارمك بأنّ مبلغاً يناهز ثمان مائة ألف ريال من سهم الإمام قد دُفع بإذنه إلى إدارة تلك المدرسة. وليس لديّ معلومات دقيقة حول مدارس «جامعة التعليم الإسلامي» ولكنّني أعلم بأنّه قدّم لها معونات لا يُستهان بها، ومن المؤكّد أنّ هناك موارد أُخرى غائبة عن علمي حاليّاً»[٢].

(١) الگوي زعامت (قدوة القادة): ١٢٧.

(٢) تكامل اجتماعي إنسان (التكامل الاجتماعي للإنسان): ٢٠٧.

٤ ـ طباعة ونشر كتب وآثار العلماء.

ومن إنجازاته الثقافيّة الأُخرى: أنّه كان يعير أهميّة فائقة لطباعة ونشر الآثار المخطوطة للعلماء السابقين، رغم أنّه كانت له آثار ومؤلّفات في موضوعات مختلفة جاهزة للطبع، بيد أنّه لم يُقدم على طباعة أيّ منها.

ولكن في عهد تصدّيه لزمام المرجعيّة طبعت ونُشرت كتب كثيرة كانت متروكة لسنوات بل وقرون طويلة في زوايا المكتبات على شكل مخطوطات يغطّيها التراب، نذكر منها: كتاب «جامع الرواة» للملّا محمّد الأردبيلي(١)؛ و«الخلاف» للشيخ الطوسي(٢)، و«مفتاح الكرامة» للسيّد جواد العاملي(٣)،

---

(١) محمّد بن علي الأردبيلي الحائري: من العلماء المتبحّرين في علم الرجال والحديث. كان معاصراً للمجلسي الثاني، وقرأ عليه، وعلى الشيخ محمّد علي بن أحمد الإستراَبادي. له: جامع الرواة، وتصحيح الأسانيد. (أعيان الشيعة ٩: ٤٤٢).

(٢) أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة: شيخ الإماميّة ووجههم، من أجلّاء الأعلام، ثقة، صدوق، عظيم المنزلة. ولد في طوس سنة ٣٨٥ هـ، وارتحل إلى بغداد، ولازم الشيخ المفيد وكذلك الشريف المرتضى، وبعد وفاة الشريف ذاع صيت الطوسي وارتفع شأنه. روى عن طائفة من المشايخ، منهم: الغضائري، وابن عبدون، وابن الصلت الأهوازي. وروى عنه: القاضي ابن البرّاج الطرابلسي، وآدم بن يونس النسفي، وأحمد بن الحسين الخزاعي، وغيرهم. من تصانيفه: المبسوط، النهاية، عدّة الأُصول، الخلاف، تفسير التبيان، المسائل الدمشقيّة. توفّي بالنجف الأشرف سنة ٤٦٠ هـ. (سير أعلام النبلاء ١٨: ٣٣٤ ـ ٣٣٥، مجمع الرجال ٥: ١٩١ ـ ١٩٣، بهجة الآمال ٦: ٣٦٠ ـ ٣٧٠).

(٣) محمّد جواد بن محمّد بن محمّد بن حيدر الحسيني العاملي النجفي: أحد أعلام الفقهاء ومشاهير علماء الإماميّة. ولد بشقراء حدود سنة ١١٦٠ هـ، وارتحل إلى العراق، وحضر على: السيّد علي بن محمّد علي الطباطبائي، والوحيد البهبهاني، والسيّد محمّد مهدي بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ حسين نجف. وحصل على الإجازات منهم ←

و «منتقى الجُمان في الأحاديث الصحاح والحسان» للشيخ حسن العـاملي[١]، و «قرب الإسناد» لعبد الله بن جعفر الحميري القمّي[٢]، وغير ذلك[٣].

ب ـ إنجازاته العمرانيّة الدينيّة :

نتعرّف في هذا القسم من هذا الكتاب على مراكز ومـعاهد، كـالمساجد، والمدارس العلميّة، والمكتبات، وما إلى ذلك، والتي تمّ تأسيسها، أو إعادة بنائها، أو ترميمها، أو توسيعها، وذلك بهمّة ودعم الامام البروجردي، سواء في مختلف

← ومن الميرزا القمّي كذلك، وتبحّر في الفقه والأُصول، واشتهر في الأوساط العـلميّة، وعرف بغزارة الاطّلاع والضبط والإتقان. من مصنّفاته: مفتاح الكرامة، حاشية المدارك، شرح الوافية في الأُصول، رسالة في علم التجويد. توفّي في النجف الأشرف عام ١٢٢٦ هـ. (روضات الجنّات ٢: ٢١٦ ـ ٢١٧، هديّة العارفين ١: ٢٥٩، تكملة أمل الأمـل: ١٢٦ ـ ١٢٩).

(١) أبو منصور جمال الدين الحسن بن زين الدين بن عـلي الجـبعي العـاملي: أحـد أعـلام الإماميّة. ولد سنة ٩٦٦ هـ في كنف السيّد علي بن الحسين الموسوي العاملي، واشترك مع ولده السيّد محمّد صاحب المدارك في الأخذ عنه، وعن السيّد علي بن الحسين الصائغ، وأحمد بن سليمان النباطي. تتلمذ عليه جماعة، كالحسن بن عبد النبي النباطي، والسيّد بدر الدين الكركي، والحسن بن علي الحانيني، والسيّد إسماعيل بن علي الكفرحوني. امـتاز بقوّة التحقيق ودقّة النظر، وكان أديباً شاعراً. من جملة مـؤلّفاته: مـعالم الديـن، مـنتقى الجمان، مناسك الحجّ، التحرير الطاووسي. توفّي في جبع سنة ١٠١١ هـ. (روضات الجنّات ٢: ٢٩٦ ـ ٣٠٢، بهجة الآمال ٣: ١١١ ـ ١٢٦، الأعلام للزركلي ٢: ١٩٢).

(٢) أبو العبّاس عبدالله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع الحميري القمّي: عالم محدّث. سمع منه أهل الكوفة في سنة نيّف وتسعين ومائتين. له كتاب قرب الإسـناد. وقـيل: إنّ الكتاب المزبور لولده محمّد. (الذريعة ١٧: ٦٧ ـ ٦٨، معجم مؤلّفي الشيعة: ١٤٨).

(٣) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العدد: ٢٧ / صفحة: ٤٥، نقلاً عن آية الله حسين النوري، زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ١٩٣ ـ ١٩٦.

المدن الإيرانيّة أو في خارج إيران.

وتقسّم هذه الإنجازات إلى عدّة اقسام، هي كالآتي:

القسم الأوّل: المساجد:

١ ـ المسجد الأعظم في قم[١].

وضع الحجر الأساس لهذا المسجد الكبير بتاريخ ١١ / ذي القعدة / ١٣٧٤هـ المصادف لشهر تير من عام ١٣٣٣هـ.ش بمناسبة الذكرى السنويّة لولادة الإمام الرضا عليه السلام، من قبل الامام البروجردي ضمن مراسيم جرت يومذاك.

وبدأ العمل ببنائه على أرض مساحتها أحد عشر ألف متر مربّع، تشمل البناء والصحن والمرافق الأُخرى.

بُني هذا المسجد على طراز العمارة الإسلاميّة الإيرانيّة، وله مظلّتين كبيرتين، ومئذنتين مرتفعتين، وقبّة، وما تحتها من باحة.

ومنذ بداية العمل ببناء المسجد الأعظم أُحيلت مهمّة العمل التنفيذي فيه من قبل المؤسّس إلى كلّ من: الحاجّ رضا طرخاني، وهو من العاملين في سوق طهران، والحاجّ أبي القاسم صاحب الجمع، وهو من الخيّرين وذوي الخبرة من أهالي قم. وأُحيلت مهمّة الجانب المعماري إلى المهندس لرزادة.

وكانت لهذا المسجد موقوفات في مدن طهران وقم وبروجرد لنفقاته اللاحقة.

---

(١) موضوعات هذا القسم وإلى آخر الكتاب مستقاة من كتاب: زندگاني (سيرة) الامام البروجردي، للشيخ علي الدواني.

يقع المسجد الأعظم إلى الجانب الشرقي من نهر قم، وإلى الجنوب الشرقي من ضريح السيّدة فاطمة المعصومة (سلام الله عليها).

٢ ـ مسجد هامبورغ الكبير.

بُني هذا المسجد على أرض مساحتها أربعة آلاف متر مربّع، تقع تلك الأرض في أفضل منطقة في ميناء هامبورغ إلى جانب نهر «آلاستر»، وتمّ شراؤها بمبلغ مائتين وخمسين ألف مارك، أيّ: ما يعادل نصف مليون تومان.

وبدأ العمل ببنائه في عام ١٣٣٩هـ.ش، ووضع حجره الأساس ضمن مراسيم حضرتها شخصيات مسلمة من ألمانيا وإيران، وتولّى وضع الحجر الأساس مندوب الامام البروجردي المفكّر القدير المحقّقي اللاهيجاني.

وكما سبقت الإشارة فقد بقي هذا المسجد على مدى الأربعين سنة الماضية مصدراً لمعطيات ثقافيّة ودينيّة كبيرة، وبات اليوم يُعرف باسم «مسجد الإمام علي عليه السلام».

٣ ـ مسجد في مدينة إيرانشهر.

إيرانشهر إحدى مدن إقليم سيستان وبلوشستان، وكانت في ذلك الوقت خالية من أيّة مؤسسات دينيّة. وبمبادرة من الامام البروجردي تمّ شراء أرض في هذه المدينة، وبُني فيها مسجد فخم تتوفّر فيه المتطلّبات اللازمة تحت إشراف مندوبه هناك سماحة الشيخ أحمد المحصّل اليزدي من علماء قم. ولازال حتّى الآن موضع استفادة أهالي تلك المدينة.

٤ ـ مسجد نور آباد ممسني.

بُني هذا المسجد مع حمّامَيْن بأمر ودعم مالي شخصي من الامام

البروجردي وبإدارة مندوبه السيّد محمّد الوراميني من علماء الحوزة العلميّة في قم، في تلك المنطقة التي كانت قبل ذلك تفتقر إلى وجود مسجد وحمّام.

٥ ـ مسجد في مدينة شاهرود.

وهذا المسجد أيضاً من المساجد التي دفعت معظم نفقات بنائه من قبل الامام البروجردي.

وبالإضافة إلى ذلك فقد بنى مسجداً آخر أيضاً في محطّة القطار في هذه المدينة.

٦ ـ مسجد في مدينة بيروت.

٧ ـ مسجد في مدينة طرابلس في لبنان.

٨ ـ أربعة مساجد كبيرة في أفريقيا.

٩ ـ مسجد ومدرسة في مدينة دورود.

١٠ ـ مسجد في منطقة صحنة «على الطريق بين كرمانشاه ـ همدان».

١١ ـ بناء سقف وطاق لمسجد الحاجّ السيّد عزيز الله في طهران.

وقد أُنجز هذا العمل بأمر الامام البروجردي تحت إشراف الحاجّ الشيخ عباسّ علي الإسلامي السبزواري، ووضع التصميم المعماري المهندس لرزاده، والمهندس حدّاديان، وبُني على طراز معماري جميل.

ويعدّ مسجد الحاجّ عزيز الله من الآثار النادرة التي تستحقّ المشاهدة في طهران.

١٢ ـ ترميم وإعادة بناء مسجد الشاه في بروجرد.

يعتبر هذا المسجد من الأبنية المهمّة في العصر القاجاري، وكان يتطلّب إجراء ترميم أساسي عليه، وقد كانت قبّته مهدّمة كلّياً. وقد أُنجز هذا العمل بعزم ورعاية الامام البروجردي.

١٣ ـ ترميم مسجد «السيّد» في بروجرد.

يُعرف هذا المسجد باسم العالم الجليل «السيّد جواد الطباطبائي» الجدّ الثاني للامام البروجردي، وهو أخو العلّامة بحر العلوم.

١٤ ـ استعادة مسجد « أرك » في طهران.

خرج هذا المسجد بفعل تقادم الزمن من الموقوفات وغدا يُستخدم لأغراض أُخرى. وقد عزم الامام البروجردي بإجراء حازم على إحياء وقفه وإعادة بنائه، حتّى أضحى اليوم واحداً من المساجد الفخمة والبهيّة في طهران.

١٥ ـ استعادة مسجد ومدرسة في « چهار باغ » في أصفهان.

هذا المركز الثقافي تبدّل وضعه بفعل تقادم الزمن وتحوّل إلى مستشفىً للأمراض العقليّة.

وقد نقل المرضى بأمر الامام البروجردي إلى مكان مناسب، وأُعيد بناء هذا المسجد والمدرسة بشكل أساسي تحت إشراف مندوبه هناك.

ويُعتبر هذا المسجد والمدرسة حالياً من المراكز الدينيّة والثقافيّة المهمّة في أصفهان.

١٦ ـ بناء مسجد ومدرسة في بروجرد.

القسم الثاني : المكتبات :

١٧ ـ مكتبة المسجد الأعظم في قم.

بدأ العمل ببناء هذه المكتبة بالتزامن مع بناء المسجد الأعظم. وتبلغ المساحة الكلّيّة لها ١٧٦ متراً مربّعاً، وهي تضمّ قسم الكتب وصالتين للمطالعة وممّراً ومكتباً لإدارتها، وتقع في الجانب الغربي لصحن المسجد.

وقد تمّ إكمال العمل ببنائها في بداية عام ١٣٤٠هـ. ش، وأضحت جاهزة للاستفادة. وتمّ افتتاحها بعد أُسبوعين من رحيل الامام البروجردي بحضور شخصيات بارزة وعلماء دين كبار وطلّاب أفاضل وحشد من مختلف شرائح الشعب، في وقت كان الجميع يشعر بالألم والأسى.

كانت مهمّة إدارتها على مدى سنوات طويلة على عاتق آية الله الشيخ أبي القاسم الآشتياني. وفيها حالياً ما يناهز مائة الف كتاب، منها أربعة آلاف كتاب مخطوط.

١٨ ـ مكتبة مدرسة الامام البروجردي في النجف.

بعد الانتهاء من بناء هذه المكتبة، أهدى الامام البروجردي قسماً من كتبه الشخصيّة لها، وبدأ هذا المركز الثقافي في نشاطه منذ ذلك الحين.

كانت هذه المكتبة تضمّ ثمانية آلاف كتاب، وتعدّ من المكتبات المزدهرة في الحوزة العلميّة في النجف الأشرف.

ولكن ممّا يؤسف له أنّها هُدمت كلّياً في الآونة الأخيرة جرّاء هجوم شنّه جلاوزة النظام البعثي عليها، واحترقت كلّ كتبها.

١٩ ـ مكتبة مدرسة الامام البروجردي في كرمانشاه.

٢٠ ـ مكتبة مدرسة خان في قم.

٢١ ـ إعمار وتوسيع مكتبة المدرسة الفيضيّة.

تحتوي هذه المكتبة على ما يناهز مائة ألف كتاب في موضوعات: الفقه، والأُصول، والحديث، والرجال، والكلام، والتاريخ، منها أربعة آلاف وخمس مائة مخطوطة.

القسم الثالث: المدارس:

٢٢ ـ مدرسة الامام البروجردي في النجف.

بُنيت هذه المدرسة على أرض مساحتها خمس مائة متر مربّع، وتتألّف من ثلاثة طوابق وأربع وستّين غرفة، وفيها مكتبة عامرة. وبناؤها جميل؛ حيث إنّها بُنيت وفقاً لأُصول الهندسة والعمارة الإسلاميّة. وكان قد أُكمل بناؤها في عام ١٣٧٣ هـ.

٢٣ ـ المدرسة الكبرى للامام البروجردي في النجف.

تبلغ مساحة هذه المدرسة خمسة آلاف متر مربّع. وقد تمّ شراؤها بأمر الامام البروجردي في منطقة «حي السعد» على يد الحاجّ محمّد علي اتّفاق، وبدأ العمل ببنائها حينذاك.

يتألّف بناء هذه المدرسة من ثلاثة طوابق، وتضم مائتي غرفة مجهّزة بكلّ المتطلّبات اللازمة، وقد وضعت تحت تصرّف طلّاب وأفاضل العلوم الدينيّة.

٢٤ ـ مدرسة الامام البروجردي في كرمانشاه.

أُنجزت بهمّة وأمر الامام البروجردي مقدّمات شراء أرض هذه المدرسة.

وقد تبرّع أحد أهالي كرمانشاه المحسنين ـ واسمه: الحاجّ عبّاس علي فرهودي ـ بقطعة أرض تبلغ مساحتها ٣٥٠٠ متر مربّع، تساوي قيمتها مبلغ سبعين ألف تومان، وقدّمها مجّاناً إلى مندوب الامام البروجردي هناك، وبدأ العمل ببنائها حينذاك. وتكفّل بما تبقّى من نفقاتها بعض تجّار طهران وكرمانشاه، ودفع المؤسّس نفسه مقداراً من تلك النفقات. وقد انتهى العمل في بناء تلك المدرسة في عام ١٣٣٥هـ.ش.

وهي تتألّف من طابقين، وتضمّ ستّين غرفة مع ملحقاتها ومرافقها، ووضعت تحت تصرّف طلبة العلوم الدينيّة. هذا في وقت كانت فيه مدينة كرمانشاه تفتقر إلى أيّة مدرسة مستقلّة لطلبة العلوم الدينيّة.

٢٥ ـ إعادة بناء مدرسة خان في قم.

بنيت هذه المدرسة في عام ١١٢٣هـ. على يد مهدي قُلي خان. ولكنّها آلت إلى الخراب وصارت في وضع يُرثى له، وقد قرّر الامام البروجردي في عام ١٣٧٨ هـ إعادة بنائها.

وبدأ العمل بالبناء على أرض مساحتها ٧٨٠ متراً مربّعاً وبثلاثة طوابق، وفيها تسع وخمسون غرفة مع ملحقاتها ومرافقها.

تقع هذه المدرسة في الجانب الشرقي من ضريح السيّدة فاطمة المعصومة (سلام الله عليها).

٢٦ ـ إعادة بناء مدرسة البقعة في كربلاء.

٢٧ ـ ترميم المدرسة الرضويّة في قم.

القسم الرابع : إنجازات أُخرى :

٢٨ ـ الحسينيّة الطهرانيّة في كربلاء.

بنيت هذه الحسينيّة بإيعاز من الامام البروجردي، وتبرّع بنفقاتها جماعة من تجّار طهران.

وقد شُيّدت على أرض مساحتها ٢٢٧٥ متراً مربّعاً في أربعة طوابق وبطراز بناء جميل يبهر الأبصار.

يضمّ هذا البناء المقدّس ما يقارب مائتي غرفة، وهو مجهّز بالمتطلّبات والمرافق اللازمة لزوّار الإمام الحسين عليه السلام.

٢٩ ـ حسينيّة وحمّام في سامرّاء.

وقد أُنجز هذا البناء الديني والصحّي بإيعاز ودعم مالي من الامام البروجردي وجماعة من المحسنين من أهالي أصفهان، وتحت إشراف الحاجّ أبي القاسم الكوپائي في مدينة سامرّاء، ويعتبر موضعاً مناسباً لسكن واستراحة الزوّار.

٣٠ ـ مقبرة وادي السلام في قم.

تمّ شراء أرض بمساحة ١٢٠ ألف متر مربّع في مدينة قم بأمر الامام البروجردي، ودفع ثمنها جماعة من تجّار طهران، وجعلت كمقبرة.

وتضمّ هذه المقبرة : مغتسلاً، ومسجداً، وخزّاناً للمياه، وعدداً من المحلّات التجاريّة الموقوفة.

٣١ ـ سايلو في بروجرد.

عندما كان الامام البروجردي مقيماً في هذه المدينة، بُني هناك «سايلو»

بهمّته ورعايته ومعاضدة جماعة خيّرة من أهالي المنطقة. ويقع سايلو بروجرد في منطقة ممتازة، وينتفع منه فلاحو بروجرد طيلة هذه السنوات.

٣٢ ـ شركة كهرباء بروجرد.

أثناء مدّة إقامة الامام البروجردي في مدينة بروجرد كان أهالي هذه المدينة محرومين من نعمة الكهرباء. فدعا سماحته تجّار المدينة ووجهاءها والشخصيات البارزة فيها، وتمّ تأسيس شركة الكهرباء بتوجيههم وإرشادهم. وبذلك توفّرت الأرضيّة لشراء المعدّات الكافية لشراء مصنع لتوليد الكهرباء، وهكذا تمّ انتشال بروجرد وضواحيها من الظلام. وأضحت لهذه الشركة في ما بعد معطيات على الصعيد العمراني والثقافي في تلك المنطقة.

نذكر من جملة ذلك على سبيل المثال: أنّ «السايلو» الذي أشرنا إليه سابقاً قد بُني من عائدات هذه الشركة. ولازالت الشركة تعمل في الوقت الحاضر، وقد شهدت مزيداً من التطوير طيلة هذه السنوات.

الفصل السادس:

سيرته السياسيّة

إعداد كادر سياسي في الحوزة

كان للامام البروجردي منهجه الخاصّ في القضايا السياسيّة. فقد كان يتّخذ الموقف المناسب والصائب في ضوء طبيعة وظروف ذلك العهد ومدى الوعي السياسي للناس، وهكذا اجتاز الحوادث والوقائع العصيبة والحسّاسة بكلّ جدارة.

ورغم أنّ الأجواء والظروف في عهد زعامته لم تكن مهيّئة لاتّخاذ مواقف ثوريّة حادّة ضدّ النظام الشاهنشاهي وضدّ الوجود الأجنبي في إيران؛ وذلك لأنّ أبناء الشعب لم يكن لديهم الوعي والاستعداد اللازم لتحمّل نتائج ثورة إسلاميّة، ولكن ينبغي الإقرار بأنّ هناك قوى وطاقات كبيرة تمّ إعدادها للثورة في زمن مرجعيته، وقد نهضت تلك الطاقات بدور مصيري طيلة مدّة الثورة.

وعلى ذلك ينبغي القول: بأنّه لو لم يكن قد تمّ إعداد الكوادر والحوزات في ذلك الوقت، لما كُنّا قد شهدنا انبثاق ثورة إسلاميّة كبرى بزعامة سماحة الإمام الخميني. فقد صرّح آية الله الهاشمي الرفسنجاني في هذا المجال بما يلي:

«في أعقاب حالة الكبت الشديد التي فرضها رضا خان المستبدّ والقمع الوحشي الذي مارسه ضدّ علماء الدين ومنعهم من ارتداء زيّهم الديني وإغلاق المدارس والمساجد والحسينيات، وفي بداية حكم محمّد رضا شاه الذي كان في أوّل أمره ضعيفاً ولم يتمكّن من مواصلة سياسة الاستبداد التي سار عليها أبوه، بوشرت أحد أهمّ الأعمال التي لها مكانتها الخطيرة عند الشيعة، ولسماحة الامام

البروجردي تأثيره العظيم فيه، هو تأسيس وتوسيع الحوزة العلميّة في قم والحوزات الدينيّة الأُخرى. وفي العقد الممتدّ بين الأعوام ١٣٣٠ إلى ١٣٤٠ هـ ش ـ حيث كان علماء الدين يلتزمون الصمت ـ كانت الحوزة العلميّة في قم تعمل. وكان عملها أشبه ما يكون بما فعله الإمام جعفر الصادق عليه السلام؛ إذ تربّى في هذه الحوزة آلاف الطلبة المتحمّسين المتديّنين المطّلعين على قضايا العصر. وهؤلاء غدوا ذخراً للثورة، ولولاهم لما كان من الممكن إلحاق الهزيمة بالنظام البهلوي في إيران»[١].

ومع كلّ ذلك، فقد كان سماحته من ذوي الإقدام عند استشعار حالات الخطر أو متى ما كانت الضرورة تستدعي ذلك، فكان يسارع إلى اتّخاذ الموقف المناسب حتّى وإن كان الأمر يستدعي تنبيه الشاه شخصياً، فهو كان يقدّم له التنبيهات والتحذيرات الشديدة اللهجة، مثلما حصل في إحدى الحالات، حيث امتنع عن استقباله احتجاجاً على أمر معيّن، وهكذا فقد قطع على الشاه طريق استغلال ذلك اللقاء لصالحه.

وعندما أراد الشاه يوماً ما أن يستبدل الخطّ الفارسي بالخطّ اللاتيني، وطبّل وزمّر لهذا العمل كثيراً، غير أنّ هذا الفقيه الجليل وقف بكلّ كيانه ضدّ هذه المحاولة المهينة، وقال: «لن أسمح بهذا العمل مادمت حيّاً ومهما كلّف الأمر»[٢].

وفي موقف آخر عندما زاره السيّد إقبال رئيس الوزراء آنذاك كلّمه عن الشاه بلهجة حادّة قائلاً:

---

(١) مكتب جمعة (مدرسة الجمعة) ٣: ٣٧٩.

(٢) گلشن أبرار (رياض الأبرار) ٢: ٦٧١، چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٦١.

«كان أبوه أُمّياً، ولكنّه كان على قدر من الإدراك والشعور، بينما هذا ـ أي: محمّد رضا شاه ـ فليس له شعور، ولا يكاد يفقه شيئاً!»[١].

نستعرض في هذا الفصل أمثلة من الأعمال والمواقف السياسيّة للامام البروجردي في سياق الأحداث المختلفة التي عاصرها:

١ ـ محاربة فرقة البهائيّة

في أثناء إقامة الامام البروجردي في موطنه، زاد عملاء هذه الفرقة السياسيّة الضالّة[٢] نشاطهم في مدينة بروجرد وضواحيها، وخاصّة عن طريق التغلغل في الدوائر الحكوميّة. وبعد اطّلاعه على مجريات الأُمور حاول في بداية الأمر منع نشاطاتهم بالطرق القانونيّة، حتّى إنّه بادر في هذا السياق إلى تحويل إحدى المدارس الدينيّة إلى ثانويّة دينيّة؛ لكي يحافظ بعمله هذا على معتقدات الشُبّان المسلمين من الدعايات المسمومة للبهائيّين.

ولكنّه حينما لاحظ تملّص رجال الدولة آنذاك وعدم تعاونهم معه في هذا المجال شعر بمزيد من خطورة الموقف وأدرك ثقل مسؤوليته على نحو أكبر، فاضطرّ إلى ولوج ساحة الصراع فرداً، حتّى وصل به الحال إلى الخروج من مدينة بروجرد تعبيراً عن احتجاجه على تلك الأوضاع، ممّا أدى إلى إثارة مشاعر أهالي المدينة، فاحتشدوا وتوجّهوا صوب إدارة التلغراف. وعند ذاك شعرت

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و ٤٤ / صفحة: ١١٥.

(٢) للاطّلاع على ماهيّة عقائد هذه الفرقة راجع: المذاهب المعاصرة: ٢٤٧ ـ ٢٦٩، تاريخ الفرق الإسلاميّة: ٢١٧ ـ ٢٢٠.

وقد وضع الأُستاذ عبدالرحمان الوكيل كتاباً كاملاً حول هذه الفرقة، اسمه: البهائيّة.

الحكومة المركزيّة بخطر جادّ، وسارعت إلى تمهيد أسباب عودته، وبادرت من فورها إلى إغلاق المجالس والمراكز العلنيّة للبهائيّة، ومنعتها من مزاولة نشاطها، وطردت الأفراد المرتبطين بها من الدوائر الحكوميّة. وعند ذاك عاد الامام البروجردي إلى موطنه في استقبال حافل وتاريخي أعدّه أهالي المدينة[1].

وفي عهد مرجعيته المطلقة في قم كان يعتبر هذه الفرقة زمرة سياسيّة تعمل للأعداء، وقد واصل مكافحته لها ووسّع جبهة صراعه مع البهائيّة في طول البلاد وعرضها، فانهار من جرّاء ذلك مزكز نشاطهم في طهران الذي كان يُعرف باسم «حظيرة القدس».

وفي شهر رمضان المبارك من العام نفسه ـ أيّ: في عام ١٣٣٥هـ. ش ـ اعتلا الخطيب المفوّه القدير الميرزا محمّد تقي الفلسفي منبر مسجد الشاه في طهران بأمرٍ من الامام البروجردي ، وألقى سلسلة من المحاضرات الزاخرة بالبراهين والأدلة القاطعة في دحض وتفنيد معتقدات وأفكار هذه الفرقة، وجرى بثّ هذه المحاضرات من خلال الإذاعة أيضاً.

وقد حذّر الامام البروجردي الشاه شخصياً عدّة مرّات من خطورة هذه الزمرة. وكانت نتيجة تلك الجهود المتواصلة التي كان يبذلها أن اضمحل وجود البهائيّة في إيران طالما كان سماحته على قيد الحياة، وتقلّص نشاطهم إلى حدٍّ بعيد[2].

---

(١) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة) : ٣٤٢.

(٢) المصدر السابق: ٥٥ و١٤١ و١٩٠.

٢ ـ تأييده لموقف الحاجّ السيّد حسين القُمّي

فرّ الشاه من إيران في عام ١٣٢٠هـ ش، وفي تلك الأثناء عاد آية الله الحاجّ السيّد حسين القمّي (١) إلى موطنه، بعدما كان سماحته قد نفي من مشهد إلى كربلاء بأمر من الشاه في أعقاب واقعة مسجد «گوهرشاد». وبعد شهر من توقّفه في مشهد لمتابعة المطالب الشرعيّة والقانونيّة للشعب الإيراني، وإلغاء قانون السفور، وإقرار حرّيّة العمل الديني، وتعليم القرآن في مدارس البلاد الابتدائيّة والثانويّة، توجّه ـ بعد ذلك ـ صوب طهران، وقد طرح هذه المطالب ضمن بيان يتألّف من خمسة بنود، وأعلنها لحكّام البلاد(٢).

إلّا أنّ رجال الدولة والشاه نفسه تجاهلوا تلك المطالب، إلى أن أعلن الامام البروجردي الذي كان يقيم آنذاك في بروجرد دعمه وتأييده للمطالب التي نادى بها الحاجّ السيّد حسين القُمّي، وبعث من بروجرد برقيّة إلى رئيس الوزراء في طهران، جاء فيها:

«إنّ المطالب التي دعا إليها آية الله القُمّي تمثّل مطالبنا أيضاً، وإذا لم تُلبّ فإنّني شخصياً سوف أتحرّك نحو طهران، وسيواجه المتصدّون لزمام الأُمور

(١) حسين بن محمود بن محمّد بن علي الطباطبائي الحسين الحائري المعروف بآقا حسين القمّي: من فقهاء الإماميّة الأجلّاء. ولد في قم سنة ١٢٨٢ هـ، وقصد العراق، فحضر عند: السيّد محمّد حسن الشيرازي، وآقا رضا الهمداني، والشيخ محمّد كاظم الخراساني، والسيّد محمّد كاظم اليزدي، وعلي النهاوندي، والميرزا الشيرازي. ورجع إلى مشهد وتصدّى للإمامة والتدريس. نفي إلى العراق بعد احتجاجه على أعمال ملك إيران رضا البهلوي، وبقي مدّة، ثمّ توفّي في بغداد عام ١٣٦٦ هـ. من جملة مؤلّفاته: مختصر الأحكام، الذخيرة الباقية، طريق النجاة، حاشية العروة. (معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٠١٦ ـ ١٠١٧، معجم المؤلّفين ٤: ٦١، مع علماء النجف الأشرف ٢: ١٦٥ ـ ١٦٦).

(٢) إمام موسى صدر، أُميد محرومان (الإمام موسى الصدر أمل المحرومين): ٣٨ ـ ٣٩.

عواقب ذلك»[١].

أدّى انتشار محتوى هذه البرقيّة بين أبناء الشعب ـ وخاصّة بين رؤساء عشائر لُرستان ـ إلى انبثاق تحركّات هدفها دعم وتأييد الامام البروجردي، فشعرت الحكومة بخطورة الموقف واضطرّت إلى الرضوخ لتلك المطالب.

٣ ـ مساندة حركة تأميم النفط

كان آية الله الكاشاني من روّاد حركة تأميم النفط في إيران، ولهذا السبب كان الامام البروجردي يضمر له احتراماً وتقديراً فائقين، وكان يهبّ إلى مناصرته وتأييده في الظروف العصيبة، وكان يرى ضرورة اتّحاد هذا المثلّث «الكاشاني، والشهيد نوّاب صفوي، والدكتور محمّد مصدّق»، وأن يقفوا وقفة رجل واحد لكي يتمكّنوا من التفوّق على الاستكبار الخارجي والاستبداد الداخلي[٢].

في أثناء نهضة تأميم النفط، توجّه الشاه في أحد الأيّام إلى قم وزار الامام البروجردي، وأعرب في هذا اللقاء عن انتقاده لآية الله الكاشاني بالتلويح والكناية، وقال في عبارة قصد بها آية الله الكاشاني: «من الأجدر لبعض السادة أن يكرّس اهتمامه بواجبه الأساسي، وهو الاهتمام بالشؤون المعنويّة والروحيّة بدلاً من الخوض في شؤون السياسة!»، ولكن الامام البروجردي نهره بحدّة عن مواصلة الكلام، وقال له: «إنّني لا أُوافق أن يجري الحديث هنا عن شخص ينبغي

---

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و٤٤ / صفحة: ٣٣٢. نقلاً عن السيّد جواد العلوي.

(٢) چشم و چراغ مرجعيت (قرّة عين المرجعيّة): ١٠٣، نقلاً عن آية الله السيّد حسين بُدلا.

أن يذكر بالتقدير والاحترام»[١].

وفي أعقاب الوقائع التي انتهت بفشل حركة تأميم النفط، أخذ جلاوزة نظام الشاه يتحرّكون في محاولة لإلقاء اللائمة على آية الله الكاشاني ومحاكمته والحكم عليه بالإعدام، إلّا أنّ الامام البروجردي انبرى لمعارضة هذه المحاولات بشكل جادّ. وقد عمد بعض المقرّبين إليه إثارة بعض الأُمور الجزئيّة التي يختلف فيها مع آية الله الكاشاني بهدف ثنيه عن موقفه، ولكن تلك المحاولات فشلت فشلاً ذريعاً. وحتّى في الآونة الأخيرة التي واجه فيها آية الله الكاشاني ظروفاً معيشيّة صعبة فضلاً عمّا كان عليه من القروض، استمرّ الامام البروجردي في تقديم المعونات الماديّة له[٢].

كما استمرّ الامام البروجردي في دعمه وتأييده لحكومة الدكتور مصدّق مادام هو ـ أيّ: مصدّق ـ والكاشاني يسيران في خط واحد. وكان هذا الموقف قد أثار حفيظة الشاه ورجال بلاطه، وعندما شعر بأنّ رجال البلاط يحاولون استغلال وجوده للنيل من الدكتور مصدّق وحركته الهادفة إلى تأميم النفط، وقف بكلّ وعي أمام هذه المحاولة، حتّى إنّه لم ينتقد حكومة مصدّق في موقف واحد، وصرّح في حديث آخر قائلاً:

«رغم كثرة هموم ومشاكل رئيس الحكومة، إلّا أنّه اتّصل بي شخصياً بالهاتف ونفّذ جميع مطالبي، ولهذا فليس لديّ ما اشتكيه منه. إنّ رئيس الحكومة يخدم البلاد، وعلى الطلبة أن يهتمّوا بدروسهم ويكفّوا عن متابعة هذه القضيّة»[٣].

---

(١) المصدر السابق: ٢٧٩، نقلاً عن آية الله محسني الملايري، مع قليل من التصرّف.

(٢) المصدر السابق: ١٦٢، نقلاً عن آية الله فاضل اللنكراني.

(٣) زندگاني (سيرة) الامام البروجردي: ٧٨، چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ٢٣٨.

وهكذا فإنّه قد حال دون وقوع كثير من الفتن، حين أعرب عن دعمه لحكومة مصدّق. والأهمّ من كلّ ذلك أنّه رفض أن تُستغل مكانة الحوزة العلميّة في قم، أو يُستعمل اسم علماء الدين والمرجعيّة لإسقاط حكومة مصدّق وإفشال الحركة الوطنيّة لتأميم النفط.

٤ ـ الاستخفاف بالجائرين

ذكر الواعظ البارز والخطيب المفوّه الشيخ محمّد تقي الفلسفي ما يلي:

عندما كان الامام البروجردي يعرب عن امتعاضه من حكومات ذلك الوقت، وكانت الحكومة تبادر إلى إرسال أحد إلى قم لاسترضائه، إلّا أنّه كان يجيب بكلّ صراحة وبصوت عال: «لا أُوافق»، بحيث إنّ مبعوث الحكومة كان يسمع ذلك منه ويرفعه إلى رئيس الحكومة. وكانت الحكومات تستفسر منه عن سبب ذلك عن طريق عدّة وسائط، فكان يجيب بأنّ الحكومة انتهجت في الموضوع الفلاني أساليب مغلوطة. فكان هذا الموقف بحدّ ذاته يرغم الحكومة على إعادة النظر في أُسلوبها والعمل بما من شأنه جلب رضاه.

والغرض من ذكر هذا الكلام هو الإشارة إلى أنّ المرحوم البروجردي كان يتكلّم بكلّ صراحة، ويراعي حقّ الإسلام تماماً، ويذبّ عن حياض الدين، ويغتنم كلّ فرصة لإحراز مزيد من التقدّم.

أحد هذه المواقف شاهدتها عن كثب عندما زاره اللواء بختيار بمناسبة عيد الغدير، وكانت صالة الاستقبال في دار الامام البروجردي تغصّ بحشد غفير من الناس، وكان سماحته جالساً في الردهة ومستنداً إلى أُسطوانة فيها. وقد كان الشاه قد أوفد مبعوثه هذا ليحذّرنا من مغبّة محاربة البهائيّة، وهي الحرب التي

كنت قد بدأتُها أنا انطلاقاً من منبر مسجد الشاه، وليقولوا لنا بأنّه من غير الممكن الوقوف بوجه البهائيّين أو عدم الترخيص لهم بالعمل؛ وذلك لأنّ حماتهم في أُوربا وأمريكا يمارسون ضدّنا كثيراً من الضغوط لكي لا نتعرّض لهم، وكان الامام البروجردي يشعر بحنق واستياء شديدين من نفاق الحكومة وخضوعها للاستعمار ربيب البهائيّة.

كان إلى جانبه درج صغير، فخلع بختيار قبّعته وجلس هناك، وقبّل يد السيّد، ولكن السيّد لما رآه غضب وأعرض عنه، فتراجع بختيار إلى الوراء قليلاً وجلس على الدرج، والتفت الامام البروجردي ليرى أين ذهب الرجل، ولمّا رآه جالساً وراءه على الدرج قال له غاضباً: «اجلس على الأرض»، فجلس بختيار على الأرض من فوره.

وبغضّ النظر عن أهميّة هذه الواقعة في الكشف عن مدى استياء الامام البروجردي من السلطة الحاكمة حينذاك، فإنّ لها أهميّة كبيرة بسبب ما كان لبختيار من مكانة مرموقة باعتباره الحاكم العسكري لطهران؛ إذ كان في حينها حاكماً عسكرياً لطهران ومعاوناً لرئيس الوزراء ويرتدي بزّة عسكريّة عليها الكثير من الأوسمة والأنواط، وكانت له شهرة وصيت ذائع، فيا ترى كم كان يعاني من الحقارة والضعة وهو يتلقّى الإهانة تلو الإهانة من مرجع الأُمّة آنذاك![1].

٥ ـ التصدّي لمشروع الشاه الرامي إلى تقسيم الأراضي

كان سماحة الامام البروجردي يتصدّى بكلّ شجاعة من غير أن يأخذ بنظر الاعتبار أيّ شيء أو أيّ شخص لجميع الإجراءات التي تتعارض مع الموازين

(١) الگوي زعامت (قدوة القادة): ١٩٥ ـ ١٩٧.

الإسلاميّة، سواء كانت تصدر من قبل الحكومة، أو من قبل المجلس، أو حتّى تلك التي يصدرها الشاه شخصياً.

ففي قضيّة الإصلاح الزراعي قدّم الشاه لائحة مشروعه إلى المجلس، وأمر بالمصادقة عليها في أسرع وقت ممكن، وتوجّه هو إلى خوزستان، على أن يُسلّمه المجلس تلك اللائحة بعد عودته. وعندما اطّلع الامام البروجردي على مجريات الأُمور بعث إلى رئيس مجلس الشورى الوطني آنذاك «سردار فاخر» رسالة وصلت إليه أثناء الإعلان عن فرصة استراحة المجلس، فقرأها على نوّاب المجلس، وكان مفادها ما يلي:

«من المثير للدهشة أن يطرح النوّاب المسلمون في غياب الشاه لائحة تتعارض مع تعاليم الإسلام لأجل المصادقة عليها. فهذه اللائحة تتعارض مع الإسلام وأحكامه الشرعيّة. ولن أسمح بوقوع مثل هذه المخالفة في هذا البلد مادمت حيّاً»[1].

وبعث سماحته رسالة أُخرى إلى السيّد البهبهاني في طهران، أكّد عليه فيها أن يتابع القضيّة نيابةً عنه.

وجاء في مقطع من تلك الرسالة ما يلي:

«... ونقع عليكم في هذا المجال مسؤوليّة. فوالدك كبش فداء حركة المشروطة في إيران. ينبغي أن يطيعك رجال البلاط ونوّاب المجلس. ويجب أن يكون لك إزاء الأُمور المخالفة للشريعة موقف حسّاس وفاعل»[2].

كتب الشاه محمّد رضا رسالة في جواب معارضة الامام البروجردي لفكرة

---

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و٤٤ / صفحة: ٥٠، نقلاً عن آية الله السلطاني الطباطبائي.

(٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

الإصلاح الزراعي ولغرض استحصال رضاه ما يلي:

«لقد طُبّق الإصلاح الزراعي في بلدان إسلاميّة أُخرى مثل تركيا وباكستان وغيرهما. وينبغي النظر إلى مصالح البلد، وليس إلى مصالح ثلّة من الجشعين.. وقد أمرنا بتطبيق قانون الإصلاح الزراعي مثلما هو الحال في سائر البلدان الإسلاميّة».

وعندما تسلّم الامام البروجردي رسالة الشاه استدعى عدداً من الشخصيات البارزة في الحوزة العلميّة، وكان فيهم الإمام الخميني، والشيخ عبد النبي الأراكي وغيرهما. وبعد التداول والتشاور معهم كتب إلى الشاه ردّاً شديد اللهجة، جاء في قسم منه ما يلي:

«أنت تقول: إنّ قانون الإصلاح الزراعي قد طُبّق في البلدان الإسلاميّة، فهذه البلدان أصبحت بلداناً جمهوريّة أوّلاً، ثمّ طبّق فيها لاحقاً قانون الإصلاح الزراعي»[١].

وبفضل النفود والاقتدار المعنوي لهذا الفقيه المجاهد لم يتمكّن الشاه من تطبيق الخطّة الأمريكيّة للإصلاح الزراعي في إيران، وأوقف مثل هذه الإجراءات كلّياً طالما كان سماحته على قيد الحياة. وقد أشار إلى هذا الموضوع في كتابه: «انقلاب سفيد» (الثورة البيضاء):

«لقد طوى قانون الإصلاح الزراعي مسيرته، ولكن عندما وصل إلى مرحلة التطبيق كتب أحد الشخصيات ممّن لا علم له بالإصلاحات الدنيويّة رسالة إلى المجلس، وحال دون تطبيقه»[٢].

---

(١) چشم وچراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٠٨، نقلاً عن آية الله السيّد حسين بُدلا.

(٢) المصدر السابق: ١٦١، نقلاً عن آية الله فاضل اللنكراني.

٦ ـ منع الشاه من الزواج بامرأة إيطاليّة

عزم الشاه ذات مرّة على الزواج من فتاة مسيحيّة من أهالي إيطاليا، ولكنّه كان يخشى من ردّ فعل الفقهاء العظام؛ وذلك لأنّ المشهور بين فقهاء الشيعة هو عدم جواز الزواج الدائم بامرأة كتابيّة[١]، ولكن البعض منهم يفتي بجواز الزواج المؤقّت منها[٢].

وعلى هذا الأساس حاول بعض جلاوزة الشاه استحصال مجوّز من الامام البروجردي في هذا الخصوص، فذهبوا واستفتوه في هذا الموضوع بدون الإشارة إلى أصل القضيّة.

وعلى صعيد آخر عندما تناهى هذا الخبر إلى سمعه ـ وكانت فتواه خلافاً لفتاوى المراجع المشهورين تجيز الزواج الدائم والمؤقّت بالمرأة الكتابيّة ـ راجع الروايات الواردة في هذا الباب وبحثها ودرسها من جديد، ولكنّه لم يبدّل رأيه وبقي على القول بالجواز. إلّا أنّه تعامل مع تلك القضيّة بمنتهى التيقّظ والدقّة اعتقاداً منه بأنّ زواج المسؤول الأوّل في بلد إسلامي بامرأة غير مسلمة لا يتناسب مع شأن المجتمع الإسلامي السنّي والشيعي، وربّما تتمخّض عنه نتائج

---

(١) نُسب للمشهور في الرياض ١١: ٢٦٤.

(٢) وهو المشهور، كما في المصدر المزبور.

وليعلم أنّ لفقهاء الإماميّة في مسألة نكاح الكتابيّة أقوالاً عدّة:

فما بين محرّم له مطلقاً، كما عن المرتضى، والحلّي، وأحد قولي المفيد والطوسي.

وما بين مجوّز له كذلك، كما عن الصدوق، ووالده، والعمّاني.

وما بين مفصّل تارةً بالدوام فالحرمة، ومتعة فالجواز، كما عن أبي الصلاح الحلبي، وسلّار، وأُكثر المتأخّرين.

وأُخرى بالاختيار فالتحريم، والاضطرار فالجواز في الدوام خاصّة، وأمّا المتعة فالجواز مطلقاً، كما عن نهاية الشيخ الطوسي، وعن ابن حمزة، والقاضي ابن البرّاج.

سياسيّة واجتماعيّة وثقافيّة سلبيّة. ولذلك لم يفصح عن رأيه الشخصي في أمر مثل هذا الزواج عند جوابه لسؤال جلاوزة البلاط، وإنّما كتب ما يلي:

«المشهور بين أعاظم فقهاء الإماميّة حرمة الزواج الدائم بالكتابيّة»[١].

وبذلك حال دون بلوغ جلاوزة البلاط مرامهم.

٧ ـ محاربة مظاهر عبادة النار

تناهى إلى أسماع الامام البروجردي ذات يوم خبر من إقليم آذربايجان مفاده أنّ الفرقة العسكريّة في ذلك الإقليم تروم في ذلك العام إقامة شعائر «الأربعاء السوري»[٢]، وتقيم معبدين عظيمين للنار فوق جبلين، وبعد إضرام النيران فيهما يتمّ استعراض العسكر أمامهما احتراماً للنار!

وكان هذا العمل يعني إحياء شعائر مغلوطة كانت سائدة في إيران القديمة، وهي عبادة النار.

فأثار ذلك الخبر حفيظة الامام البروجردي، وغضب وكتب من فوره رسالة بخطّ يده، وبعثها إلى الشاه في طهران بيد موفدين عنه من علماء الحوزة العلميّة، حتّى إذا قرأها الشاه ووجد فيها ما يتعسّر فهمه، إذا بهم يوضّحون له محتواها وجملها.

وقد جاء في قسم من مقتطفات تلك الرسالة:

---

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و٤٤ / صفحة: ١١٦ و ١٣٣.

(٢) شعائر تقام في بعض المناطق من إيران في آخر يوم أربعاء من السنة الشمسيّة التي تنتهي في العشرين من شهر آذار، وتشعل بهذه المناسبة النيران، ويجتمع الناس حولها ابتهاجاً، ويقفزون من فوقها.

«أنت حاكم بلد إسلامي. وإذا كانت لدى الملك ميول إلى عبادة النار فستقع اليوم مثل تلك الحرب التي وقعت في صدر الإسلام ضدّ عبدة النار»[1].

وبعد أن قرأ الشاه الرسالة أمر فوراً بإلغاء تلك الشعائر.

وفي حالة أُخرى كان يعدّ في طهران لاحتفال واسع إكراماً للنار، وكان من المقرّر أن يحضر فيه الشاه نفسه وكبار المسؤولين المدنيّين والعسكريّين في الدولة، يرمزون بذلك إلى إعادة تقليد عبادة النار إلى هذا البلد من جديد.

فأوفد الامام البروجردي الحاجّ أحمد خادمي إلى صدر الأشراف ـ وكان من المقرّبين إلى الشاه ـ ليبلغه رسالته التي يدعوه فيها إلى إلغاء تلك الشعائر[2].

الحالة الثالثة تتعلّق بالسنة التي كان من المقرّر فيها أن تُقام في إيران مسابقات أُولمبيّة رياضيّة، وكان يجري افتتاحها عادة ـ كما هو الحال اليوم ـ بإيقاد مشعل نار ضمن مراسيم معيّنة. ولكن بما أنّ جميع هذه الحالات كانت تؤدّي إلى تداعي عبادة النار في أذهان الناس في تلك الأيّام، وخاصّة ما كان يُشاع في خارج إيران بأنّ النار التي أخمدها رسول الله ﷺ قد أوقدها الشاه في إيران من جديد. وعلى هذا الأساس فقد تصدّى الامام البروجردي لهذا الأمر أيضاً، وأوفد الخطيب البليغ آية الله الشيخ الفلسفي من قبله إلى الشاه؛ لمنع إيقاد مشعل الألعاب الأُولمبيّة.

وقد شرح الفلسفي في كتاب مذكّراته هذا الموضوع بالتفصيل[3].

---

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و ٤٤ / صفحة: ١٠٠.

(٢) الگوي زعامت (قدوة القادة): ١٩٨، نقلاً عن آية الله السيّد الموسوي الشبيري الزنجاني.

(٣) راجع مذكّرات الشيخ الفلسفي: ١٨١.

٨ ـ تحذيره للدكتور مصدّق

رغم أنّ الامام البروجردي ساند حركة تأميم النفط، وكان يرجّح حكومة الدكتور مصدّق على الشاه ورجال البلاط، ولكنّه ـ مع كلّ ذلك ـ لم يحابِ ولم يداهن أحداً، ولهذا السبب فإنّه لم يتغاض عمّا صدر من حكومة الدكتور مصدّق من إهمال أو من أخطاء أحياناً، والأكثر من ذلك أنّه كان يراقب أعمالها ومواقفها؛ لكي لا يصدر منها ما يتعارض مع الشريعة، لا سيّما وأنّها تمثّل حكومة بلد إسلامي شيعي، وقد وصلت إلى سدّة الحكم بفضل دعم العلماء والحوزة العلميّة وأبناء الشعب، فكان لا يتوانى في إلزامها السير على جادة الصواب متى ما انحرفت.

وفي إحدى المرّات نشرت بعض الصحف في طهران مواضيع تتعارض مع تعاليم الإسلام، وأدّت إلى إثارة الأوساط الدينيّة والمساس بمشاعر أبناء الشعب، وانتهى الأمر إلى قيام تظاهرات، اشتبك المشاركون فيها مع رجال الأمن والشرطة.

وجاءت هذه الأحداث في وقت كان فيه البلد وحركة تأميم النفط بأمسّ الحاجة إلى الأمن والاستقرار.

وهناك استشعر الامام البروجردي مؤشّرات الخطر، فحذّر الدكتور مصدّق ـ عبر مكالمة هاتفيّة بواسطة الحاجّ الميرزا محمّد حسين ـ بأنّه إذا كان عاجزاً عن إدارة البلاد وبسط الأمن فيها، فمن الأفضل أن يستقيل من عمله بأسرع وقت ممكن؛ لكي يحلّ محلّه شخص آخر أكثر اقتداراً ويمسك بزمام الأُمور.

وفي أعقاب ذلك أوفد إليه الدكتور مصدّق ثلاثة من كبار رجال الدولة، وهم: العميد مدبّر، وملك إسماعيلي «معاون رئيس الوزراء»، وشخص آخر من

ديوان القضاء، ليتداولوا معه الآراء عن كثب، ويستفيدوا من توجيهاته. وقد أدّى هذا الإجراء إلى نتائج إيجابيّة[1].

٩ ـ السياسة هي الديانة بعينها

نظراً إلى أنّ الامام البروجردي قد عايش مرحلة حركة المشروطة التي كانت حافلة بالاضطراب، وشهد عن كثب وقائعها المريرة، وكيف عمل رجال السياسة وعملاء الأجانب على دفع الحوزات وعلمائها إلى الانزواء والتقوقع، ثمّ وجّهوا ضربة موجعة إلى جسد الإسلام والشيعة، لذلك كلّه كان ينظر بعين الشكّ والريبة إلى أكثر الأوساط والحركات السياسيّة.

بيد أنّ تلك الوقائع المؤلمة لم تتمكّن من التأثير في رؤيته العامّة إلى القضايا والموضوعات؛ فقد كان الامام البروجردي ينظر إلى الدين والسياسة بإدراك عميق ورؤية شاملة، ويعتبرهما أمرين مرتبط أحدهما بالآخرة، ويقول:

«كيف يمكننا الفصل بين الشؤون السياسيّة والشؤون الدينيّة، بينما الحجّ الذي يُعتبر من أعمق العبادات الإسلاميّة، وهو يوطّد بشكل وثيق علاقة الإنسان بربّه، وهكذا دوره من الناحية العباديّة أيضاً؛ حيث يبعد الإنسان كلّياً عمّا سوى الله ويوصله بالله تعالى، وفي الوقت نفسه فبعده السياسي على درجة من القوّة بحيث يعدّ من أهمّ أركان السياسة الإسلاميّة»[2].

عندما كان سماحته يصل أثناء التدريس إلى طرح بعض المباحث

---

(١) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ٦٢، نقلاً عن آية الله السلطاني الطباطبائي.
(٢) المصدر السابق: ٢٦٧، نقلاً عن آية الله مكارم الشيرازي.

الإسلاميّة، كان ينتقد القوانين غير الإسلاميّة السائدة في المجتمع، ويدافع بشكل منطقي وعميق عن كفاءة القوانين الإسلاميّة في إدارة المجتمع بشكل صحيح، ويبيّن أفضليّتها على القوانين البشريّة، مؤكّداً أنّ الفقه الإسلامي وضع لإدارة المجتمع البشري بجميع شؤونه من المهد إلى اللحد.

وقد قال ذات مرّة في أثناء الدرس:

«أنا أعلم بأنّ القضاء الإسلامي لا يُطبق حاليّاً في المجتمع، ولكن غايتي من طرح مبحث القضايا هي أن أبيّن بأنّ الموازين القضائيّة في الإسلام أفضل وأتقن بمرّات من القوانين القضائيّة التي يتحفوننا بها من أُوربا!»[١].

١٠ ـ دفاعه عن الخطّ واللغة الفارسيّة

بالتزامن مع تبديل الحروف في الدولة الإسلاميّة التركيّة إلى الحروف اللاتينيّة على يد أحد عملاء الاستعمار الغربي، ويُدعى «أتاتورك»[٢]، واصل عملاء الطرف الأجنبي مساعيهم المحمومة في سياق تحقيق أهدافهم الخبيثة

---

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العددان: ٤٣ و٤٤ / صفحة: ١٨٩، نقلاً عن آية الله الاشتهاردي.

(٢) مصطفى كمال أتاتورك: مؤسّس تركيا الحديثة. ولد في سالونيك عام ١٨٨١ م، وقاد حركة المقاومة العسكريّة والسياسيّة ضدّ معاهدة سيفر المعقودة عام ١٩٢٠ م، والتي تظمّنت بنوداً سلخت بموجبها عن تركيا أراض واسعة ووضعت قيوداً على سيادتها. تمكن أتاتورك من طرد القوّات اليونانيّة من الأراضي التركيّة، كما ألغى الخلافة العثمانيّة وكلّ ما له ربط بالإسلام، وأصبح رئيساً لجمهوريّة تركيا. أسّس حزب تركيا الفتاة، وأدخل الحروف اللاتينيّة في اللغة التركيّة، وقد لقّبته الجمعيّة الوطنيّة أتاتورك، أي: أنّه أبو الأتراك! توفّي سنة ١٩٣٨ م. (موسوعة السياسة ١: ٢٧).

الرامية إلى محو الهويّة الإسلاميّة والقضاء على الأصالة في البلدان الإسلاميّة، فحاولوا هذه المرّة إجراء هذه الخيانة التاريخيّة في إيران على يد رضا خان.

وقد سبقت ذلك موجة دعائيّة كاسحة في طول البلاد وعرضها سعياً وراء تمشية هذه الحيلة في عهد محمّد رضا شاه بذريعة أنّ الحروف الفارسيّة تؤدّي في الكتابة والطباعة إلى وقوع كثير من الأخطاء، وتوقع الباحثين والقُرّاء في حيرة، إضافة إلى أنّها لا تتطابق مع اللغة العالميّة «الإنجليزيّة»، وتجعل الدارسين باللغة الفارسيّة يواجهون مشكلة في دراسة العلوم الغربيّة.

ومن المؤسف أنّ البعض ممّن يُسمون بالمثقّفين قد انطلت عليهم هذه الحيلة، فانبروا بكلّ سذاجة للدفاع عن هذه الحيلة السياسيّة والثقافيّة الخطيرة، ومهّدوا السبيل أمام العدوّ من غير قصد منهم، وأكّدوا من خلال مقالات نشرت في الصحف على ضرورة تطبيق هذه الفكرة، مثلما فعله السيّد سعيد النفيسي ضمن مقالة كتبها لتبرير هذه الدعوة، حيث كتب يقول:

«الإشكال الكبير الآخر الذي يواجهنا هو أنّ الرداءة التي تتّسم بها الحروف اليوم، وكثرة ما فيها من الحروف التي تتبدّل بمجرّد تغيير النقطة، قد جعلت ثقافاتنا مليئة بالأخطاء التي حصلت نتيجة تحريف الحروف.. وعندما بدأت بطباعة معجم النفيسي الذي ألّفه المرحوم والدي، واجهت هذه المشكلة العصيبة، ولم أجد أمامي بدّاً من وضع قواعد بالحروف اللاتينيّة لتلفّظ الكلمات الفارسيّة، وأن أضع أمام كلّ كلمة تلفّظها باللاتينيّة. وأنا أرى بأنّنا مادمنا متورّطين

بهذه الحروف الحاليّة فلابدّ لنا من الأخذ بهذا الحلّ!»[١].

لقد كانت الفئة الوحيدة التي تدرك عمق هذه الفاجعة وتشعر بخطرها الفادح ووقفت أمام هذه الهجمة الثقافيّة بكلّ صلابة، هي الحوزات العلميّة الأصيلة والملتزمة، وعلى رأسها الامام البروجردي الذي وقف أمامها بكلّ قوّة واتّخذ إزاءها موقفاً حازماً، فقال:

«إنّ هدفهم من استبدال الحروف هو إقصاء شعبنا عن ثقافته الإسلاميّة. ولن أدعهم يقوموا بهذا العمل مادمت حيّاً، ومهما كانت النتائج»[٢].

ونتيجة لهذا الموقف التاريخي الحازم توقّفت الأوساط التثقيفيّة عن مساعيها وتحرّكاتها، وتراجع النظام عن هذه الفكرة، وسَلِمت إيران مرّة أُخرى من هجوم مدمّر، وقُبرت أماني الأعداء إلى الأبد.

١١ ـ دعمه للقدس وفلسطين

نكتفي في هذا المجال بذكر نصّ البيان التاريخي الذي أصدره الامام البروجردي في استنكار وإدانة احتلال الأراضي الفلسطينيّة من قبل الصهاينة المعتدين في عام ١٩٤٨م:

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

نحمد الله تعالى في السرّاء والضرّاء وعلى كلّ حال، ونشكو إليه ما لقيه أُخواننا المسلمون في زماننا هذا من المشركين بباكستان ومن اليهود بفلسطين،

---

(١) قاموس عميد (المقدّمة): ٢٥ و٢٨.

(٢) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٦١، نقلاً عن آية الله فاضل اللنكراني.

ولقد صدّق عملهم بالمسلمين ما أخبرنا الله تعالى به في كتابه الكريم: **﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾**(١). ولكن العجب والأسف كلّه من صنع اليهود! فإنّهم بعدما كانوا تحت حماية الإسلام والمسلمين قريباً من أربعة عشر قرناً محفوظة نفوسهم وأعراضهم وأموالهم وشعائرهم الدينيّة، قد أصبحوا في هذا الزمان ينتقمون من المسلمين ما صنعوه إليهم في تلك المدة المديدة من الإحسان، فجعلوا يقتلون رجالهم الصالحين بالفتك والغيلة، ويقتلون ذراريهم، ويهتكون أعراضهم، ويخرّبون معابدهم وبيوتهم، ولا يرقبون فيهم إلاًّ ولا ذمّة، وأُولئك هم المعتدون. فنسأل الله تعالى أن ينصر المسلمين نصراً عزيزاً، ويجعل لهم من لدنه سلطاناً نصيراً، وأن يخذل هؤلاء القوم الذين لم يراعوا حقّ المسلمين، وأن يضرب عليهم الذلّة والمسكنة، ويجعلهم أذلّ الأُمم. نرجو من إخواننا المؤمنين في إيران وغيرها أن يتضرّعوا في الدعاء عليهم بالخذلان ولإخوانهم المسلمين بالنصر والغلبة. اللّهم، انصر جيوش المسلمين وسراياهم ومرابطيهم في مشارق الأرض ومغاربها، واخذل أعداءهم، وفرّق كلمتهم، وألقِ الرعب في قلوبهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين، وصلِّ على أشرف أنبيائك محمّد وآله المنتجبين.

حسين الطباطبائي البروجردي
خرداد ١٣٢٧ هـ.ش »(٢).

---

(١) سورة المائدة ٥: ٨٢.

(٢) مفاخر الإسلام للدواني ١٢: ٣٦٢.

وفاته

توفّي هذا الفقيه الجليل صبيحة يوم الخميس ١٣ / شوّال / ١٣٨٠هـ، بعد سنين طوال قضاها في الخدمة العلميّة والنشاطات الاجتماعيّة والسياسيّة، عن عمر ناهز الثمانيّة والثمانين سنة، وشيّعته الآلاف من الجماهير التي فجعت بفقده، بموكب نادراً ما كان له مثيل من قبل، ودفن جثمانه الطاهر في ضريح السيّدة المعصومة عليها السلام قريباً من رأس مرقدها الشريف.

وأعلنت جميع المدن الإيرانيّة الحداد والعزاء لوفاته، ورفعت الأعلام السوداء في الشوارع والأزقّة والأسواق حزناً عليه، وأُقيمت مراسيم تأبين ومجالس عزاء في أغلب البلاد الإسلاميّة، وخاصّة في كربلاء والنجف، واستمرّت هذه المجالس والمراسيم في إيران إلى أربعينيّته.

وأعرب سفراء ومندوبو البلدان الإسلاميّة عن مواساتهم بمناسبة هذا الحدث الجلل، حتّى أنّ بلداناً كالاتّحاد السوفيتي السابق وأمريكا وبريطانيا اضطرّت إلى نكس أعلامها فوق سفاراتها وقنصليّاتها حداداً على وفاته[١].

تلقينه

وصف المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ مجتبى العراقي ـ وهو من الشخصيات العلميّة في الحوزة ومن المقرّبين للامام البروجردي ـ مراسيم تشييع السيّد ودفن جثمانه على النحو التالي:

«عندما شيّعوا جثمانه بكلّ هيبة وإجلال وحملوه نحو المسجد الأعظم لدفنه، شرّفني الله بمكرمة، وهي تسجية المرحوم في لحده. كُنّا وبعض الأشخاص

---

(١) المصدر السابق ١٢: ٢٦٨.

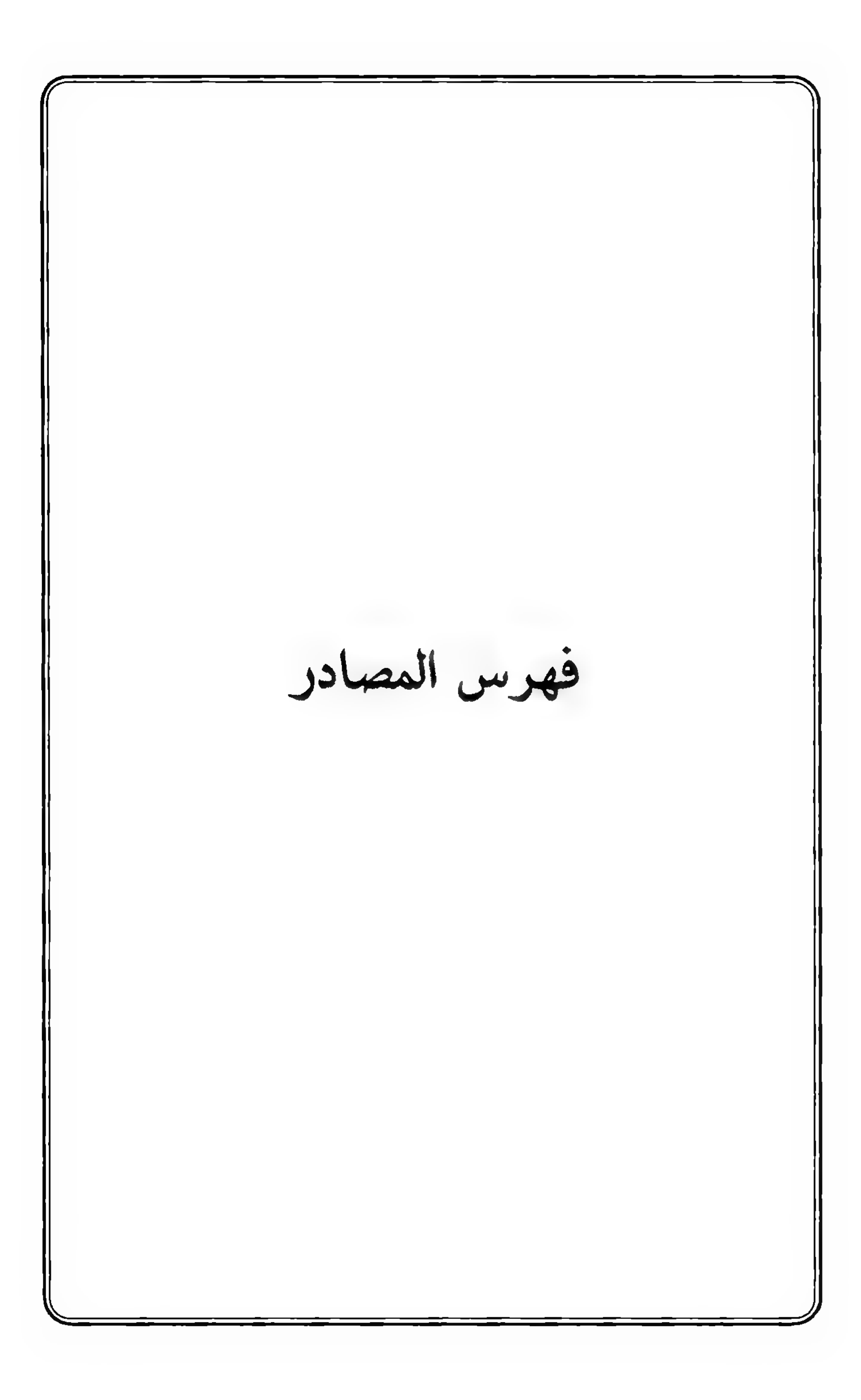
القلائل نحيط بالجثمان، فدنا منّي الحاجّ أحمد وقال لي: إنّ سماحة السيّد كان قد قال بأنّ الشيخ مجتبى هو الذي يسجّيني في لحدي. والحقيقة هي أنّني عجبت من هذا الكلام، وعندما دخلت القبر حضرتني جميع مستحبّات الدفن التي لم أكن استحضرها في ذهني، فسجّيته في لحده، وكشفت عن وجهه، ووضعته على لبنة، وشرعت بتلقينه، وأمسكت كتفيه وقلت: افهم واسمع، فإذا بي أسمع تمتمة، ولم تكن تلك التمتمة غريبة عليَّ، فعندما كنت أحضر مجلس الاستفتاء في ردهة داره، كنتُ أُميّز تمتمته من بين جميع الأصوات، فقلت لنفسي: لعلّه خيال خطر لي! فرفعت رأسي ولاحظت عدم وجود تمتمة في الخارج، فأنزلت رأسي داخل القبر ثانية وأصغيت السمع، فسمعت تلك التمتمة نفسها! وهذا ما يدلّ على علوّ مقام المرحوم، فله المجد والخلود»[١].

من المؤكّد أنّ سرد سيرة الامام البروجردي، وإنجازاته العلميّة، والثقافيّة، والسياسيّة، والعمرانيّة، وغيرها، يستدعي كتابات إضافيّة أكثر ممّا سطّرناه بكثير.. ولكنّنا اكتفينا بما أوردناه رعاية للإيجاز.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) چشم و چراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة): ١٧٩.



فهرس المصادر

فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الأزهر في ألف عام .

تأليف: د. محمّد عبد المنعم الخفّاجي / نشر: عالم الكتب ـ بيروت ومكتبة الكلّيات الأزهرية ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.

٣ ـ الأعلام للزركلي: الأعلام .

تأليف: أبي الغيث خير الدين الزِركْلي المتوفّىٰ سنة ١٣٩٦ هـ / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الثامنة ـ ١٩٨٩ م.

٤ ـ أعيان الشيعة .

تأليف: محسن بن عبد الكريم الأمين العاملي المتوفّىٰ سنة ١٣٧١ هـ / تحقيق: حسن محسن الأمين العاملي / نشر: دار التعارف ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ.

٥ ـ الگوي زعامت (قدوة القادة) .

تأليف: محمّد علي آبادي / نشر: عصمت ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٧٨ هـ ش .

٦ ـ إمام موسى صدر أُميد محرومان (الإمام موسى الصدر أمل المحرومين) .

تأليف: عبد الرحيم أباذري / نشر: إيران .

٧ ـ الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب (مجموعة مقالات) .

إعداد: المعاونيّة الثقافيّة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة / نشر:

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٥هـ.

٨ ـ أمل الآمل .

تأليف: محمّد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي المتوفّىٰ سنة ١١٠٤ هـ / تحقيق: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة الأندلس ـ بغداد.

٩ ـ البدء والتاريخ .

تأليف: أبي مطهّر بن طاهر المقدسي المتوفّىٰ سنة ٥٠٧ هـ / نشر: دار صادر ـ بيروت .

١٠ ـ بهجة الآمال: بهجة الآمال في شرح زبدة المقال .

تأليف: علي العلياري التبريزي المتوفّىٰ سنة ١٣٢٧ هـ / طبع: المطبعة العلمية ـ قم / ١٤٠٨هـ.

١١ ـ البهائيّة: البهائيّة (تأريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنيّة والصهيونيّة).

تأليف: عبد الرحمان الوكيل / مراجعة: أحمد حمدي إمام / نشر: دار المدني ـ جدّة / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٧هـ.

١٢ ـ تاريخ أصبهان: ذكر أخبار أصبهان .

تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران المهراني الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ٤٣٠ هـ / تحقيق: سيّد كسروي حسن / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٠هـ.

١٣ ـ تاريخ بغداد: تاريخ مدينة السلام .

تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفّىٰ سنة ٤٦٣ هـ / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٤ ـ تاريخ الفرق الإسلاميّة .

تأليف: محمّد خليل الزين / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٥هـ.

١٥ ـ التاريخ الكبير: كتاب التاريخ الكبير .

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برد زبه الجعفي البخاري المتوفّىٰ سنة ٢٥٦ هـ / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / ١٤٠٧ هـ.

١٦ ـ تتميم أمل الآمل .

تأليف: عبد النبي بن محمّد تقي القزويني اليزدي من أعلام القرن الثاني عشر الهجري/ تحقيق: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٧ هـ.

١٧ ـ التدوين في أخبار قزوين.

تأليف: عبد الكريم بن محمّد الرافعي القزويني من أعلام القرن السادس الهجري / تحقيق: عزيز الله العطاردي / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / ١٤٠٨ هـ.

١٨ ـ تذكرة الحفّاظ .

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٩ ـ تكامل اجتماعي إنسان (التكامل الإجتماعي للإنسان) .

تأليف: مرتضىٰ المطهّري / نشر: إيران .

٢٠ ـ تكملة أمل الآمل.

تأليف: أبي محمّد حسن بن هادي بن محمّد علي بن صالح الموسوي الصدر المتوفّىٰ سنة ١٣٥٤ هـ / تحقيق: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٦هـ.

٢١ ـ تهذيب اللغة.

تأليف: أبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري المتوفّىٰ سنة ٣٧٠ هـ / تحقيق: عمر

سلامي وعبد الكريم حامد / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢١هـ.

٢٢ ـ جامع الرواة: جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد.

تأليف: محمّد بن علي الأردبيلي الغروي الحائري من أعلام القرن الحادي عشر الهجري / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٣هـ.

٢٣ ـ الجرح والتعديل: كتاب الجرح والتعديل.

تأليف: أبي محمّد عبد الرحمان بن أبي حاتم محمّد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مَهران التميمي الحنظلي الرازي المتوفّىٰ سنة ٣٢٧هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / أُفست عن مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٧٢هـ.

٢٤ ـ چشم وچراغ مرجعيّت (قرّة عين المرجعيّة).

إعداد: مجتبىٰ أحمدي وعبد الرضا إيزدپناه وحسين شرفي وعبّاس صالحي ومحمّد حسن نجفي / نشر: مركز نشر مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٧٩هـ.ش.

٢٥ ـ الجواهر: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام.

تأليف: محمّد حسن بن باقر بن عبد الرحيم النجفي الجواهري المتوفّىٰ سنة ١٢٦٦هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة السابعة ـ ١٤٠١هـ.

٢٦ ـ الحاشية علىٰ كفاية الأُصول للبروجردي: حاشية الكفاية.

تقريراً لأبحاث السيّد حسين الطباطبائي البروجردي المتوفّىٰ سنة ١٣٨٠هـ، بقلم: الشيخ بهاء الدين الحجّتي البروجردي / تصحيح: غلام رضا مولانا البروجردي / نشر:

مؤسّسة أنصاريان ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٢ هـ.

٢٧ ـ حلية الأولياء: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .

تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ٤٣٠ هـ / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٩ هـ.

٢٨ ـ حياة الإمام البروجردي .

تأليف: محمّد واعظ زاده الخراساني / إعداد: جلال الدين مير آقائي / نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢١ هـ.

٢٩ ـ خاطرات آية الله بروجردي (مذكّرات الامام البروجردي) .

تأليف: محمّد حسين علوي / نشر: إيران .

٣٠ ـ الذريعة: الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة .

تأليف: محسن أغا بزرك الطهراني المتوفّىٰ سنة ١٣٨٨ هـ / نشر: دار الأضواء ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣ هـ.

٣١ ـ الرجال لابن داود: كتاب الرجال .

تأليف: تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلّي المتوفّىٰ ما بعد سنة ٧٠٧ هـ / تحقيق: محمّد صادق بحر العلوم / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / أُفست عن المطبعة الحيدرية ـ النجف / ١٣٩٢ هـ.

٣٢ ـ روزنامه حوزة (صحيفة الحوزة) .

نشر: إيران .

٣٣ ـ روضات الجنّات: روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات .

تأليف: محمّد باقر بن زين العابدين بن أبي القاسم بن حسين الموسوي الخوانساري

الأصفهاني المتوفّى سنة ١٣١٣ هـ / نشر: دار الكتب الإسلامية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١١هـ.

٣٤ ـ الرياض: رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدلائل .

تأليف: علي بن محمّد بن علي الطباطبائي المتوفّى سنة ١٢٣١ هـ / تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٨ هـ.

٣٥ ـ رياض العلماء: رياض العلماء وحياض الفضلاء .

تأليف: عبد الله أفندي الأصفهاني المتوفّى سنة ١١٣٠ هـ / تحقيق: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤١٥ هـ.

٣٦ ـ زندگاني (حياة) الامام البروجردي .

تأليف: علي دواني / نشر: إيران .

٣٧ ـ سير أعلام النبلاء .

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق: مجموعة من الباحثين / إشراف: شعيب الأرناؤوط / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الحادية عشرة ـ ١٤١٧ هـ.

٣٨ ـ شذرات الذهب: شذرات الذهب في أخبار من ذهب .

تأليف: أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد المعروف بابن العماد الحنبلي المتوفّى سنة ١٠٨٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ.

٣٩ ـ شش مقالة (ستّ مقالات) للمطهّري: شش مقالة .

تأليف: مرتضى المطهّري / نشر: إيران .

٤٠ ـ صفوة الصفوة .

تأليف: أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد بن علي البكري البغدادي الحنبلي

المعروف بابن الجوزي المتوفّىٰ سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق: محمود فاخوري ود. محمّد روّاس قلعجي / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٦هـ.

٤١ ـ **طبقات الحفّاظ** .

تأليف: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين الخضيري السيوطي المتوفّىٰ سنة ٩١١ هـ / تحقيق: علي محمّد عمر / نشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٩٣ هـ.

٤٢ ـ **الطبقات لابن سعد: الطبقات الكبرىٰ** .

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن سعد بن منيع الزهري البصري المتوفّىٰ سنة ٢٣٠ هـ / نشر: دار بيروت ـ بيروت / ١٤٠٥هـ.

٤٣ ـ **الغدير: الغدير في الكتاب والسنّة والأدب** .

تأليف: عبد الحسين بن أحمد الأميني النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٩٢ هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٤هـ.

٤٤ ـ **الفوائد الرضوية: الفوائد الرضوية في أحوال علماء مذهب الجعفرية** .

تأليف: عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّىٰ سنة ١٣٥٩ هـ / طبع: إيران.

٤٥ ـ **فوات الوفيات: فوات الوفيات والذيل عليها** .

تأليف: محمّد بن شاكر الكتبي المتوفّىٰ سنة ٧٦٤ هـ / تحقيق: د. إحسان عبّاس/ نشر: دار صادر ـ بيروت.

٤٦ ـ **قاموس عميد: فرهنگ عميد** .

تأليف: حسن عميد / نشر: إيران .

٤٧ ـ الكامل في التأريخ .

تأليف: أبي الحسن عزّ الدين علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفّىٰ سنة ٦٣٠ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٣٩٨ هـ.

٤٨ ـ گلشن أبرار (رياض الأبرار) .

تأليف: جمع من باحثي الحوزة العلميّة بقم / نشر: معروف ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٥هـ. ش.

٤٩ ـ الكنىٰ والألقاب .

تأليف: عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّىٰ سنة ١٣٥٩ هـ / نشر: مكتبة الصدر ـ طهران / الطبعة الخامسة ـ ١٣٦٨ هـ. ش .

٥٠ ـ لسان الميزان .

تأليف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢هـ/ نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٦ هـ.

٥١ ـ لغت نامه .

تأليف: علي أكبر دهخدا / نشر: مؤسّسة انتشارات جامعة طهران ـ طهران / الطبعة الثانية ـ ١٣٧٧ هـ. ش.

٥٢ ـ لمحات الأُصول .

تقريراً لأبحاث السيّد حسين الطباطبائي البروجردي المتوفّىٰ سنة ١٣٨٠ هـ، بقلم: السيّد روح الله الخميني / تحقيق ونشر: مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ـ قم /

الطبعة الأُولى ـ ١٤٢١ هـ.

٥٣ ـ لؤلؤة البحرين: لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث.

تأليف: يوسف بن أحمد البحراني المتوفّى سنة ١١٨٦ هـ / تحقيق: محمّد صادق بحر العلوم / نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الثانية.

٥٤ ـ المبسوط: المبسوط في فقه الإمامية.

تأليف: أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّى سنة ٤٦٠ هـ / نشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ـ طهران / الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٧ هـ.

٥٥ ـ مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة).

نشر: إيران.

٥٦ ـ مجلّة رسالة الإسلام.

نشر: مجمع البحوث الإسلاميّة في الآستانة الرضوية المقدّسة ـ مشهد، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / ١٤١١ هـ.

٥٧ ـ مجلّة مكتب جمعة (مجلّة مدرسة الجمعة).

نشر: إيران.

٥٨ ـ مجمع الآداب: مجمع الآداب في معجم الألقاب.

تأليف: كمال الدين أبي الفضل عبد الرزّاق بن أحمد الشيباني المعروف بابن الفوطي المتوفّى سنة ٧٢٣ هـ / تحقيق: محمّد الكاظم / نشر: مؤسّسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٦ هـ.

٥٩ ـ المذاهب المعاصرة: المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها.

تأليف: عبد الرحمان عميرة / نشر: دار اللواء ـ الرياض / الطبعة الخامسة ـ ١٤٠٤هـ.

٦٠ ـ **مذكّرات الشيخ الفلسفي: الخاطرات .**

تأليف: محمّد تقي الفلسفي / نشر: إيران .

٦١ ـ **مروج الذهب: مروج الذهب ومعادن الجوهر .**

تأليف: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفّىٰ سنة ٣٤٦هـ / تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد / نشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٦٢ ـ **مسألة شناخت (مسألة المعرفة) .**

تأليف: مرتضىٰ المطهّري / نشر: إيران .

٦٣ ـ **مع علماء النجف الأشرف .**

تأليف: محمّد الغروي / نشر: دار الثقلين ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٠هـ.

٦٤ ـ **معارف الرجال: معارف الرجال في تراجم العلماء والأُدباء .**

تأليف: محمّد بن علي بن عبد الله حرز الدين النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٦٥هـ / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٥هـ.

٦٥ ـ **معجم رجال الفكر والأدب: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام .**

تأليف. د. محمّد هادي عبد الحسين الأُميني النجفي / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣هـ.

٦٦ ـ **معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة .**

تأليف: يوسف إليان سركيس المتوفّىٰ سنة ١٣٥١ هـ / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم .

٦٧ ـ **معجم مؤلّفي الشيعة .**

تأليف: علي القائيني النجفي / نشر: مطبعة وزارة الإرشاد ـ إيران / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٥هـ.

٦٨ ـ **معجم المؤلّفين** .

تأليف: عمر رضا كحّالة / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٦٩ ـ **المعرفة والتاريخ: كتاب المعرفة والتاريخ** .

تأليف: أبي يوسف يعقوب بن سفيان البَسَوي المتوفّىٰ سنة ٢٧٧ هـ / رواية: عبدالله بن جعفر بن دَرَستويه الفسوي النحوي المتوفّىٰ سنة ٣٤٦ هـ / تحقيق: د. أكرم ضياء العمري / نشر: مكتبة الدار ـ المدينة المنوّرة / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٠ هـ.

٧٠ ـ **مفاخر الإسلام** .

تأليف: علي دواني / نشر: مركز أسناد الثورة الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الرابعة ـ ١٣٧٩ هـ. ش .

٧١ ـ **المقنعة: المقنعة في الأُصول والفروع** .

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالمفيد وابن المعلّم المتوفّىٰ سنة ٤١٣ هـ / تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤١٠ هـ.

٧٢ ـ **ملفّ التقريب** .

إعداد : د. محمّد علي آذرشب / نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢١ هـ.

٧٣ ـ **المنتظم: المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك** .

تأليف: أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد بن علي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي المتوفّىٰ سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق: محمّد عبد القادر عطا ومصطفىٰ عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٢ هـ.

٧٤ ـ موسوعة أعلام الفلسفة: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب .

إعداد: روني إيلي ألفا / مراجعة د. جورج نخل / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٢هـ.

٧٥ ـ موسوعة السياسة .

تأليف: د. عبد الوهاب الكيّالي بمشاركة جماعة من الاختصاصيّين / نشر: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٩ م.

٧٦ ـ ميزان الاعتدال: ميزان الاعتدال في نقد الرجال .

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨هـ / تحقيق: علي محمّد البجّاوي / نشر: دار إحياء الكتب العربية ـ مصر / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٨٢ هـ.

٧٧ ـ نسب السادات البروجرديّين .

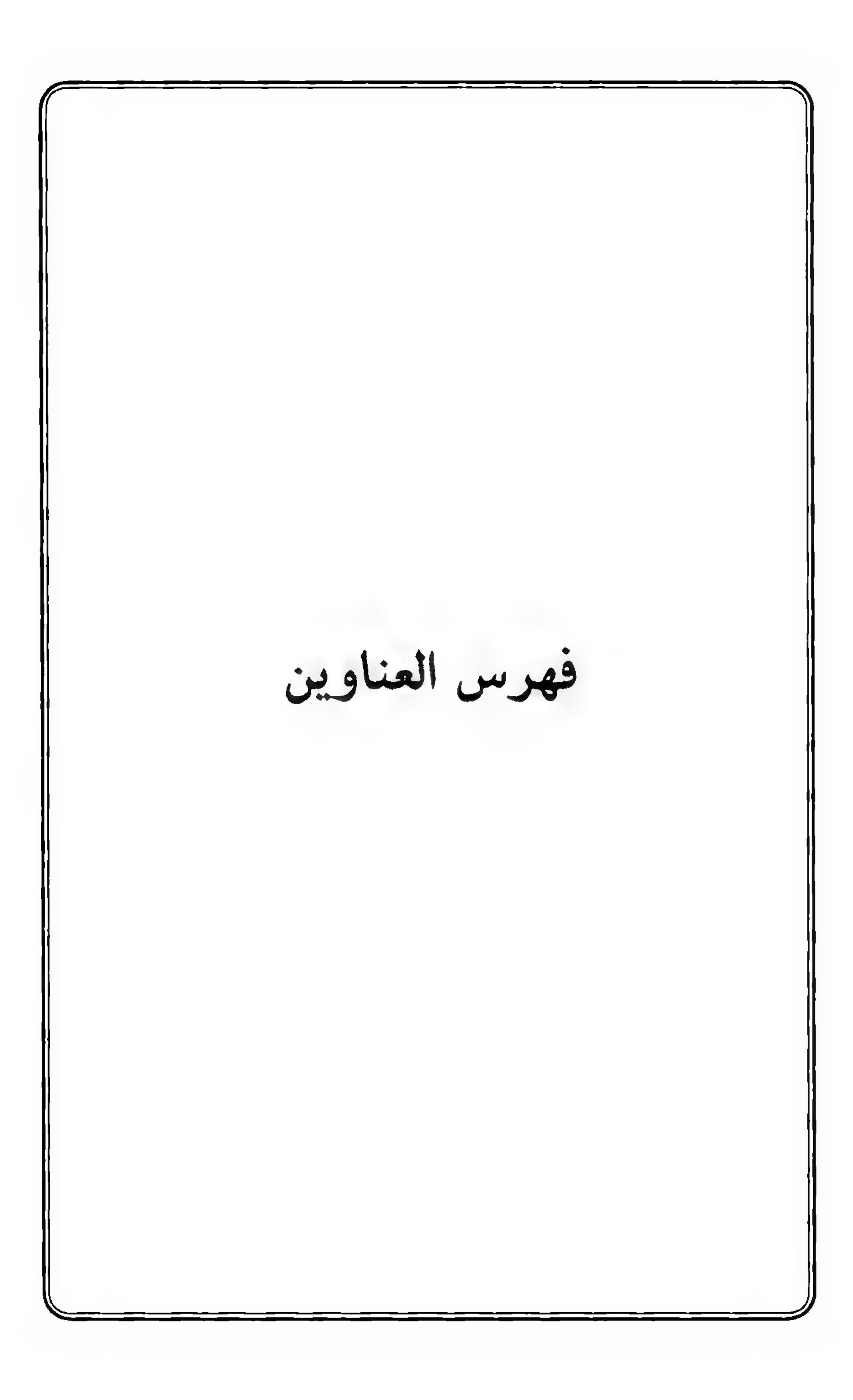
تأليف: حسين الطباطبائي البروجردي المتوفّىٰ سنة ١٣٨٠ هـ / ترجمة: علي دواني / نشر: إيران .

٧٨ ـ نقد الرجال .

تأليف: مصطفى بن حسين الحسيني التفرشي من أعلام القرن الحادي عشر الهجري / تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم‌السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٨هـ.

٧٩ ـ هدية العارفين .

تأليف: إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي المتوفّىٰ سنة ١٣٣٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤٠٢هـ.



فهرس العناوين

فهرس العناوين

الفصل الأوّل
حياته

الفصل الثاني
أساليبه وأفكاره

الفصل الثالث
سجاياه الأخلاقيّة

الفصل الرابع

فكره التقريبي

الفصل الخامس

إنجازاته العمرانيّة والثقافيّة

الفصل السادس
سيرته السياسيّة